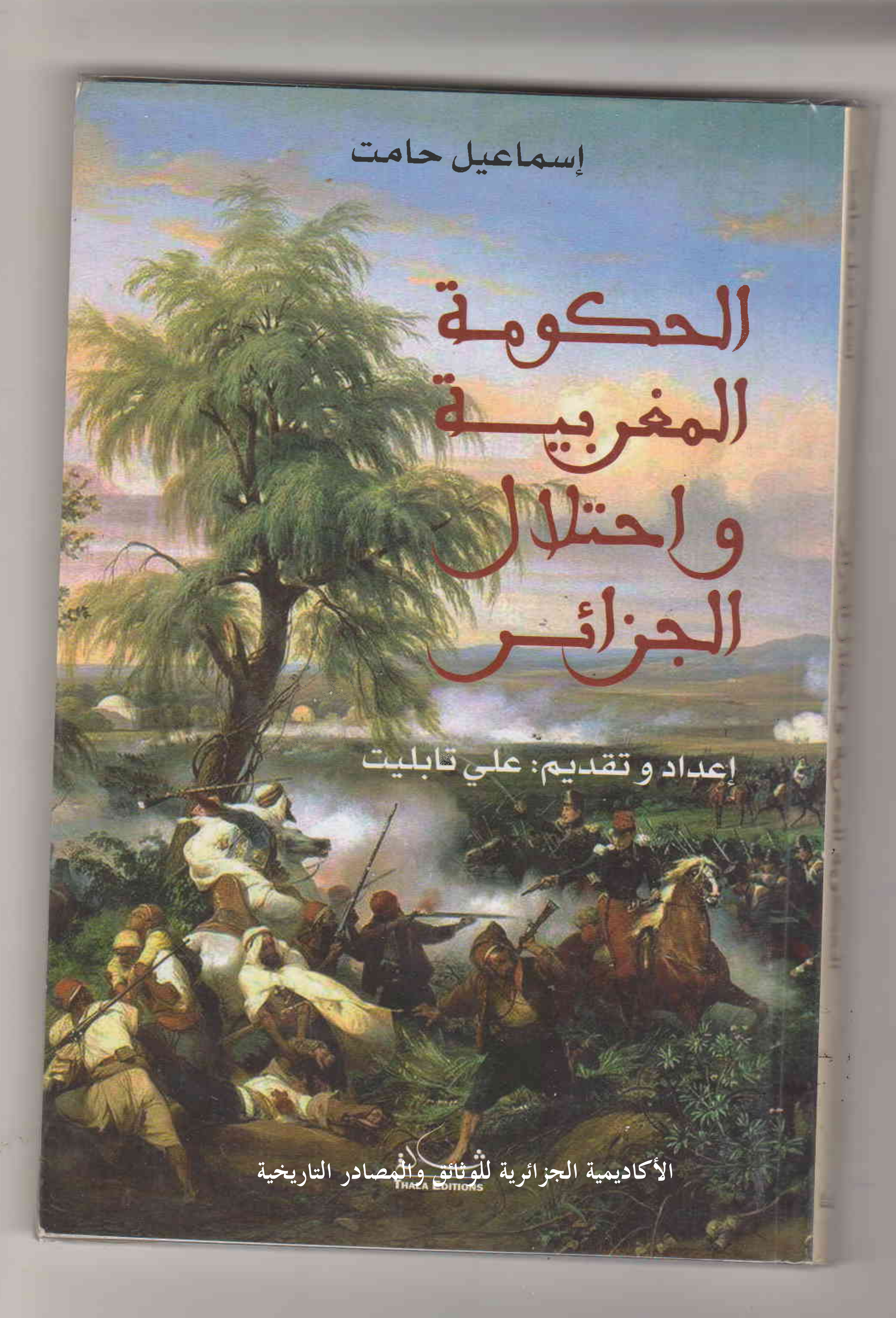
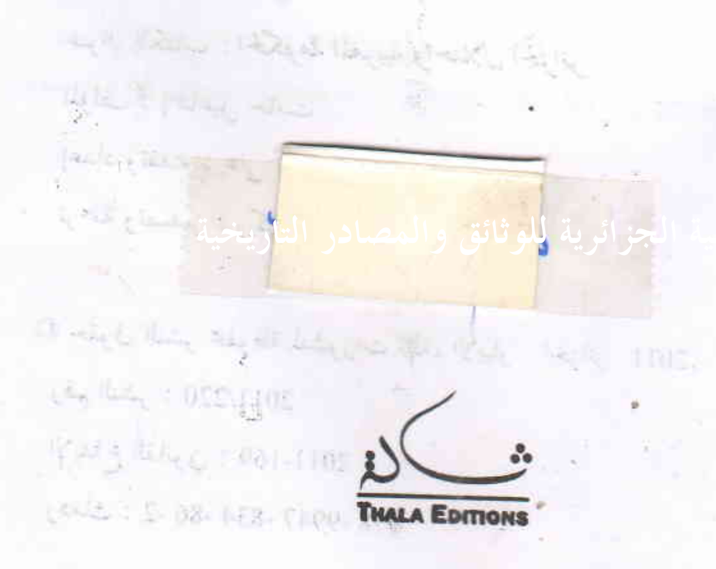


الأكاديمية الجزائرية للوثائق والمصادر التاريخية

إسماعيل حامت

الحكومة المغربية واحتلال الجزائر

إعداد و تقديم: علي تابليت



عنوان الكتاب : *الحكومة المغربية واحتلال الجزائر*

المؤلف : إسماعيل حامت

إعداد وتقديم : علي تابليت

ترجمة وتصدير : زكي مبارك ـ محمد لخواجة

رقم النشر : 2011/220

الإيداع القانوني : 169-2011

ردمك : 2- 86- 834- 9947- 978

شكر وامتنـان

الشكر والامتنان للسادة الأساتذة الأجلاء : محمد الكاديلي، حسن الفكيكي، عبد الكريم الفيلالي، الذين أعانونا على تدقيق حروف بعض كلمات الرسائل التي استعصى أمر قراءتها.

المترجمان : زكي مبارك ومحمد لخواجة

اعتراف لا بد منه

صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية سنة 2000، وقد نقله إلى اللغة العربية نزولا عند رغبتي ـ ولأول مرة ـ الأستاذان زكي مبارك ومحمد لخواجة من المغرب، وبفضلهما صدرت الطبعة العربية بالمغرب سنة 2010. وتصدر بالجزائر سنة 2011 عن منشورات ثالة.

وأوّد بالمناسبة تقديم شكري وامتناني للأستاذين الكريمين اللّذين لم يدّخرا جهدا في ترجمة هذا العمل. الشيء الذي حفّزني على إصدار هذا الكتاب الذي أتمناه أن يكون وثيقة تاريخية تساهم في الحوار البنّاء بين البلدين، المغرب والجزائر من ناحية، وأن يساعد الباحثين والمؤرّخين وكذا السياسيين من ناحية أخرى على الاستفادة من وثائقه.

علي تابليت

تصديـــر

ما الفائدة من ترجمة هذا الكتاب من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية؟

إن المتتبع لمسيرة العلاقات المغربية_الجزائرية منذ استقلال البلدين وإلى اليوم، يسجل بكل وضوح ما عرفته من تعثرات وانتكاسات وتصدعات تسببت في حدوث أزمات متوالية، كادت غير ما مرة أن تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. أزمات لم يكن متوقعا ولا محتملا ولا منطقيا حدوثها بين دولتين تؤلف بين شعبيها روابط الجوار، والجنس، واللغات، والدين، وما شئت من عناصر الإخاء والتضامن والتكامل والمصير المشترك.

حول هذا الموضوع بالذات تباينت واختلفت الكتابات السياسية والتاريخية بين الأقلام المغربية والأقلام الجزائرية : أقلام مؤرخي الحكام والسلطة، وأقلام الباحثين النزهاء، وأقلام المؤرخين الذين التزموا الحد الأدنى من الموضوعية والنزاهة الفكرية في أدبياتهم كما تقتضيه الكتابة التاريخية وتحض عليه.

من الكتابات الأجنبية الجادة، هذه الدراسة التي تحمل عنوان : *"الحكومة المغربية واحتلال الجزائر"* . لقد إرتأينا أنه من المفيد ترجمتها إلى العربية لما تحتويه من فوائد، وتقدمه من توضيحات حول تطورات العلاقات الجزائرية المغربية منذ احتلال فرنسا للجزائر في جويلية 1830م، وموقف السلطان مولاي عبد الرحمان (1822-1859) من هذا الاحتلال وتصرفاته مع الأمير عبد القادر الجزائري، وتصرفات هذا الأخير في البلاد المغربية لما التجأ إليها ليتخذ منها قاعدة لانطلاق حركاته الجهادية ضد القوات الفرنسية.

لقد اعتمد الباحث اسماعيل حامت، وهو يعد من المؤرخين المطلعين، وعلى بينة من التطورات السياسية والعسكرية والدبلوماسية التي عرفها المغرب منذ احتلال الجزائر من طرف القوات الاستعمارية الفرنسية، إعتمد في دراسته هذه على حوالي ثمانية وثلاثين وثيقة معظمها عبارة عن مراسلات مخزنية أغلبها سرية، وجهها السلطان إلى ولاته وعماله وقواد جيشه في الإيالة الجزائرية بعد قبوله لبيعة أهل تلمسان ووهران ورغبتهم الملحة في الدخول تحت حكمه وطاعته، كما توجد من بين هذه المراسلات تلك التي وجهها له أعوانه، بل حتى الأمير عبد القادر الجزائري نفسه.

رتب الباحث هذه المراسلات على أساس كرونولوجي فترجمها إلى اللغة الفرنسية، وقام بتحليل مضموها والتعليق على ملابساتها حسب فهمه للأحداث وقناعاته الفكرية.

ولا بد من الإشارة إلى ما تطلبته من الباحث قراءة وفهم هذه الرسائل واستيعابها وفك رموزها ومصطلحاتها الفقهية من مجهودات،

وقفنا عليها بدورنا حينما سعينا إلى إعادة كتابتها بخط واضح لتسهيل قراءتها على الباحثين، وقمنا بترجمة بعض الرسائل من الفرنسية بعد أن ضاع أصلها العربي كما أعلن عن ذلك المؤلف اسماعيل حامت.

قسّم الباحث دراسته إلى قسمين: القسم الأول اعتمد فيه على عشر وثائق: الأولى بتاريخ 5 أكتوبر 1830م مضمونها يتعلق باستجابة السلطان لرغبة بعض القبائل الجزائرية في الدخول تحت طاعته ومبايعته.

لقد تردد السلطان كثيرا في قبوله لهذه البيعة التي تمت بإصرار من علماء الجزائر ونخبة من علماء المغرب الذين أفتوا بشرعيتها وأجازوها وأشاروا على السلطان بقبولها.

أما الرسالة العاشرة من هذه المجموعة فتحمل تاريخ 8 مارس 1831م وهي موجهة من السلطان إلى ابن عمه مولاي علي، خليفته وممثله في الإيالة الجزائرية، يأمره فيها بمغادرة التراب الجزائري هو وجيشه وقياده بسبب ما أصبحت عليه الأوضاع هناك من تنافر وانقسامات وصراعات بين القبائل والسكان، فضل المغرب الانسحاب منها تفاديا لسفك الدماء بين المسلمين بغير حق.

أما المجموعة الثانية فتتكون من ثمانية وعشرين وثيقة تغطي الحقبة التاريخية الحساسة في مسار العلاقات الجزائرية المغربية ، والعلاقات بين السلطان والأمير عبد القادر الجزائري، والعلاقات بين المغرب والحكومة الفرنسية.

الرسالة الأولى من هذه المجموعة الثانية بعث بها الأمير عبد القادر بتاريخ 20 أفريل 1844م إلى السلطان مولاي عبد الرحمان. في هذه الرسالة يلتمس الأمير من السلطان الدعاء له بالنصر معتبرا إياه خديم حضرته، راجيا مرضاته متوكلا على الله وعلى جانبه (الرسالة رقم11).

أما مرحلة القطيعة بين الرجلين فتناولتها المراسلات التي حررت بعد حرب إيسلي وتداعياتها والتي على إثرها قرر السلطان مولاي عبد الرحمان طرد الأمير الجزائري من التراب المغربي بالقوة مما جعله يسلم للقوات الفرنسية في 23 ديسمبر1847م.

تتجلى فوائد هذه الدراسة في راهنية الإشكالية التي تطرحها، وفي المنهجية التي إتبعها الباحث إسماعيل حامت لمعالجة موضوعها، وفي قيمتها التوثيقية وتحليلاته لهذه الوثائق حسب فهمه وإدراكه لسياقها التاريخي والسياسي وقناعته الفكرية.

كما تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها ظلت، منذ صدورها سنة 1923م، وإلى الزمن الحاضر، مصدرا لا غنى عنه في موضوع العلاقات الجزائرية_المغربية.

ومما يدل ويؤكد هذه الأهمية تأثر بعض الباحثين صيغة ودلالة بالعنوان الذي يحمله هذا الكتاب. فعلى سبيل المثال نشير إلى الكتاب الذي أصدره سنة 1931م المؤرخ الفرنسي Philippe de Cossé Brissac تحت عنوان :

Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830-1847).

أي العلاقات المغربية_الفرنسية خلال احتلال فرنسا للجزائر (1847_1830).

كما نشير إلى الدراسة القيمة التي أنجزها مؤخرا الباحث المغربي محمد الاحصاصي تحت عنوان :

« Le Maroc et la France pendant la conquête et l'occupation de l'Algérie » (1830-1851)

أي المغرب وفرنسا خلال غزو واحتلال الجزائر (1830-1857).

وقد صدرت هذه الدراسة سنة 2009 ـ ويحتل بحث اسماعيل حامت مكانة متميزة في المصادر المعتمدة.

بالإضافة إلى هذا، فالرسائل المختلفة تجلي الضباب عن تلك الفترة فيما يخص الوضع القائم بالمغرب، لاسيما في المنطقة الشمالية الشرقية، حيث كانت الاضطرابات العديدة تجعل الحكومة المركزية، طيلة سنوات، تقدم خطوة وتتراجع أخرى، ملتمسة الفرصة السانحة للتدخل قصد إخماد بعض الفتن التي غالبا ما كان وراءها الأمير عبد القادر الذي كان يحاول أن يتخذ من الأراضي المغربية مركزا لانطلاق قواته، مع العمل على استمالة القبائل المتواجدة في هذه الرقعة الجغرافية، تارة باللين، وأخرى بالترهيب. وخلال هذه التدخلات، كانت تظهر نزوعات بعض القبائل إلى التمرد على القادة والحكام المحليين المعينين من لدن السلطة المركزية المغربية. هذه الأخيرة كانت تتظاهر، بكل ما أوتيت من دهاء ومهارة في تصريف شؤون البلاد، بالقبض على زمام الأمور، إلى حد الاستجابة أحيانا لرغبات بعض القبائل، على الرغم من براءة ولاة الأمور من التهم الموجهة إليهم، أو تفاهتها. وأحيانا كانت تدعم بعضا من هؤلاء، إذا تطلب الأمر الحفاظ على هيبة الدولة، فتبقي على بعض رجالاتها المخلصين في مناصبهم رغم عيوبهم، وما تثيره من نفور الساكنة. إن قراءة هذه الرسائل الصادرة عن جهات متعددة قراءات متأنية، ستجعل الباحث والدارس المختص يخرج باستنتاجات تسلط الأضواء على هذه الفترة، بكيفية تجعلنا نستوعب مجريات الأحداث في العقود الموالية استيعابا يقترب من الفهم الصحيح، سواء تعلق الأمر بالأحداث الداخلية المقترنة، على الأخص، برقعة

جغرافية محدودة، أو بالأحداث المتشعبة المرتبطة إلى حد ما، بالجارة الشرقية الجزائر بما لها وما عليها.

غايتنا القصوى والمرجوة من ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية هو تمكين الباحثين والمؤرخين والسياسيين المغاربة والجزائريين من الاستفادة من الوثائق التي اعتمدها المؤلف، ومن تحليلاته وشروحه وتعاليقه مع إخضاعها طبعا للفحص والمقارنة والمقاربة مع نصوص ووثائق مغربية وجزائرية لها صلة وثيقة بالموضوع.

إن حوارا جزائريا مغربيا ترعاه المؤسسات السياسية والعلمية، وتحتضنه منظمات المجتمع المدني الحرة، يتناول إشكالية الأزمات في العلاقات الجزائرية ـ المغربية، أصبح ملحا ومستعجلا من أجل توضيح الرؤى، وتصحيح المغالطات التي تتداولها عن قصد أو غير قصد وسائل الإعلام والكتابات التاريخية والسياسية في البلدين، والتي أصبحت تشكل عناصر قوية في تغذية هذه الأزمة ودوامها مع ما يترتب عن ذلك من تداعيات وعوائق لا تخدم مطلقا مصالح وتطلعات الشعبين الشقيقين.

حوار صريح وواسع تساهم فيه جميع الفعاليات الفكرية والتاريخية والسياسية والبرلمانية والعمالية من البلدين الشقيقين، إذ لا سبيل إلى تفاهم صحيح ودائم بغير المصارحة والتصريح... ومن كتم علته قتلته.

رجاؤنا وأملنا أن يكون هذا الكتاب بريق أمل وفاتحة خير لهذا الحوار.

زكي مبارك — محمد لخواجة

ترجمة مقدم الكتاب : علي تابليت

ولد علي تابليت سنة 1941، بغسيرة، الأوراس. تابع دراسته القرآنية بالبلدة التي ولد فيها شأنه في ذلك شأن أطفال جيله. انخرط في صفوف الحركة الوطنية ليعمل على الصعيد الجهوي بجانب أفراد عائلته.

بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، إلتحق بجيش التحرير الوطني، بالولاية الأولى أوراس النمامشة، وبعد استشهاد والدة وإثنين من أعمامه وسجن أمه وجده، . ونظرا لصغر سنه إرتأت القيادة الثورية أن تبعثه إلى تونس لمتابعة دراسته، شأنه في ذلك شأن شباب عصره، وظل في تونس إلى سنة 1962. بعد ذلك التحق بالأردن والكويت لمتابعة دراسته الثانوية.

في سنة 1967 التحق بجامعة الجزائر لمتابعة دراسته العليا في التاريخ، والترجمة والحقوق. كما تابع دراسته بجامعة ستراسبورغ، فرنسا.

نشر علي تابليت عدة بحوث حول تاريخ الجزائر في عدة مجلات جامعية، جزائرية وتونسية ومغربية. ومن بين هذه الإصدارات : عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائرلمحمد بن مصطفى بن الخوجة سنة 1319هـــ _ 1902م.(منشورات ثالة الأبيار_ الجزائر)2006 .

- القضية الجزائرية أمام الأمم المتحدة (57-1958)، منشورات المركز الوطني للراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، (ترجمة).
- الأسرى الأمريكان في الجزائر (1785 – 1797)، ترجمة، منشورات ثالة، الجزائر 2007.
- ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية (ترجمة)، منشورات ثالة، الجزائر 2008.
- *North Africain States*, 1757, manuscript, Algiers, 2008.
- *The Language of the Berbers of Algeria (1824)*, Algiers 2009.
- *Selim the Algérian in Algéria*, (1735-1805), Algiers 2009.
- *فرحات عباس رجل دولة*، منشورات ثالة، الجزائر، 2009.

يعمل حاليا علي تابليت كأستاذ محاضر بمعهد الترجمة التابع لجامعة الجزائر.

السيرة الذاتية للمؤلف إسماعيل حامت

مدير معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط في نهاية الحرب العالمية الأولى وعضو مراسل في مجلة أكاديمية العلوم الكولونيالية مع أحمد بن رحال المندوب المالي لعمالة وهران.

إزداد إسماعيل حامت بالجزائر العاصمة يوم 4 أوت 1857م. بعد دراسته الابتدائية والثانوية قضى مدة وجيزة بالمدرسة الحربية الفرنسية (SAINT-CYR) تخرج منها برتبة ضابط مترجم سنة 1877م.

أهم محطات مسيرته العسكرية :

- ترجمان متربص سنة 1877م
- ترجمان من الرتبة الثانية سنة 1890م
- ترجمان من الرتبة الأولى سنة 1897م
- ترجمان رئيسي سنة 1904م

حصل على وسام جوقة الشرف سنة 1911م. وحسب بعض المصادر تقاعد عن العمل بين 6 و 23 فيفري 1923، غير أنه في مصادر

أخرى 25 فيفري 1933 بالجزائر العاصمة. وخلال مسيرته الإدارية ألف هذا المثقف الكبير العديد من الكتب القيمة سجلت حضوره الفكري خلال المرحلة الممتدة ما بين (1890-1930).

زاول مهامه الإدارية ببراعة بالمكاتب العربية والشؤون الأهلية بالمدن الآتية :

- معسكر (1885-1887) و(1889-1890).

- أفلو (1887).

- عين الصفراء (1891-1894)، وهران (1895-1904).

- باريس (1905 -1912).

كثيرة هي أعماله الفكرية سواء في مجال الترجمة التي برز فيها، أو في مجال الآداب. ونظرا لما تمتع به المؤلف من ثقافة عربية وفرنسية واسعة وعميقة، نشرت أعماله أشهر المجلات الصادرة في فرنسا والجزائر والمغرب على حد سواء لقيمتها الفكرية.

لقد قمت منذ أربع سنوات بدراسة حول التراجمة في الجزائر خلال العهد الاستعماري، فعثرت خلال أبحاثي في هذا المجال على دراسات لهذا المؤلف الذي أخذ باهتمامي. ومنذئذ، تتبعت مسيرته الثقافية من خلال كتاباته المتعددة وأبحاثه ومن بينها هذه الدراسة القيمة التي تتناول موضوع مقاومة الأمير عبد القادر التي نشرها تحت عنوان *"الحكومة المغربية واحتلال الجزائر"* *"وثائق شريفية"* وهي أساس هذا الكتاب.

قائمة بعض الكتب والبحوث للمؤلف إسماعيل حامت :

- إسماعيل حامت : *حول تجنيس الجزائريين المسلمين* 1889.
- الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان الملقب ابن فوديو : المجلة الإفرقية 1897، صفحة 297- 317- و1898 ص 58-81.
- تحقيق نور الألباب للشيخ عثمان بن فوديو، الجزائر 1898.
- *خمسة أشهر بالمغرب*، الجزائر، 1901، 43 صفحة.
- *خمسة أشهر بالمغرب*، المجلة الإفريقية 1900، ص 97_134.
- طبيب عربي رئيس مصحة بالجزائر ـ الدكتور بن التهامي ولد حميدة، النشرة الطبية الجزائرية، 19 نوفمبر 1907، صفحة 677.
- محاضرة للسيد حامت، مجلة العالم الإسلامي، عدد2، 1907، ص (472- 486).
- *الصحف المصرية*، مجلة العالم الإسلامي، عدد4، 1908، ص (194_196).
- *التجارة والسكان الأهليون الجزائريون*، مجلة العالم الإسلامي عدد2، 1907، ص (472-486).
- المؤتمر الإسلامي العالمي، مجلة العالم الإسلامي، عدد 4، 1908، (ص100- 107).
- *ظروف الحياة المادية للأهالي الجزائريين*، ضمن أشغال مؤتمر شمال إفريقيا المنعقد بباريس، من 6 إلى 10 أكتوبر 1908، (صفحة 501_508).
- *تجنيس الأهالي الجزائريين*، نفس المصدر أعلاه، صفحة (378_395).

- *حرف المدن والأجر في الجزائر*، المصدر نفسه، ص 509_514.
- *حالة الفلاحة الأهلية في الجزائر*، نفس المصدر، ص 515_523.
- ناصر الدين، مجلة العالم الإسلامي، عدد 9، 1909، صفحة 421_532.
- *الأدب العربي الصحراوي*، مجلة العالم الإسلامي عدد 12، 1910، صفحة 194، 213، و380-405).
- *مذكرة حول العرب الهلاليين*، باريس، بدون تاريخ، 24 صفحة.
- *الحضارة العربية في إفريقيا الوسطى*، مجلة العالم الإسلامي، عدد 14، 1911، ص 1_35.
- شجرة *نسب الكونتة*، العالم الإسلامي، عدد 15، 1911، ص (312-318).
- *حديث حول الموريطانية السينغالية* بباريس1911_ 316 صفحة.
- *الكولونيل محمد بن داوود*، مجلة العالم الإسلامي، عدد 9، 1912، ص 315-318.
- *المسلمون الفرنسيون بشمال إفريقي*، باريس 1916، 316 صفحة.
- *التاريخ المغربي*، باريس 1923، 501 صفحة.
- *الحكومة المغربية واحتلال الجزائر ضمن أعمال أكاديمية العلوم الكولونيالية*، عدد 1، 1925، ص 53_153.
- *يهود إفريقيا الشمالية الاسماء والألقاب*، باريس 1929، 62 صفحة.
- الرحالة المسلمون، مجلة العالم الإسلامي، عدد 2، 1907، صفحة 271.

- *الفقه الحنبلي*، مجلة العالم الإسلامي، عدد 2، 1907، صفحة 596.
- *تأبين ريني باسّي*، عميد كلية الآداب، جامعة الجزائر (1855-1924)، عضو الجمعية الوطنية، الفرع الأول، أكاديمية العلوم الكولونيالية، ج II، 1923-1924 (1925)، ص 257_259.
- *كتاب الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى*، الأرشيف المغربي، العدد (32)، ج III، الموحدون (ترجمة)، باريس 1927، 283 صفحة.
- *كتاب الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى*، بقلم أحمد بن خالد الناصري السلوي، المدينيون (ترجمة) الأرشيف، ج 4، باريس (1934) ص 1 – 621.
- *المدن الصحراوية*، المجلة الأهلية، العدد XIX (1912)، ص 260–179.

ومن الذين كتبوا عنه :

- علي تابليت، من *الذاكرة الثقافية الجزائرية*، أعمال المترجم اسماعيل حامت، الكاتب الجزائري، مجلة أدبية ثقافية أصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين، عدد خاص 2005، ص 171 – 187.
- علي تابليت، *دفاتر الترجمة*، العدد الثاني.
- علي تابليت، *أمل*، الدار البيضاء (المغرب)، العدد 33 (2008)، ص 125-136.
- سعد الله أبو القاسم، *المترجمون الجزائريون وافريقية*، الثقافة، العدد 113 (1996)، ص 68 _ 70.

إن تواجد عبد القادر فوق التراب المغربي يعد حاليا أكبر خطر يهدد الأسرة العلالية بحكم مكانته ومعرفته بأحوال الرجال والسياسة والحرب.

تقديم

الغاية من هذا التقديم هو إعادة نشر هذه الدراسة التي أنجزها المترجم اسماعيل حامت (1857-1933) عام 1925م حول عينة من المراسلات التي وجهها السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام (1778-1859) إلى أولاده وأقربائه الذين كانوا يتولون مناصب الولاية أو رؤساء الجيش في مختلف الأقاليم المحاذية للحدود المغربية الجزائرية.

إن هذه المراسلات تتناول حقبة جد حساسة في العلاقات المغربية الجزائرية لارتباطها بمقاومة الأمير عبد القادر (1808-1883) وتداعياتها على المغرب الجار.

إنها تكشف لنا حقيقة الدعم الذي قدمه سلطان المغرب للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر ضد الغزاة الفرنسيين سنة 1830م. وعليه، فقد ساند في البداية، وبدون شروط، مقاومة الأمير عبد القادر مقدما إليه دعما سرمديا إلى حد منحه اللجوء إلى المغرب سنة 1846 عندما شددت عليه الضغوطات الاستعمارية الخناق، وبعد ذلك أخذ يتخوف منه السلطان إلى درجة مطاردته نحو الصحراء للتعجيل باستسلامه.

كما توضح لنا هذه المراسلات كيف تمكن هذا المحارب الشجاع من التمتع بسمعة واسعة لدى الساكنة المغربية، رغم الصعوبات الناتجة عن سرية نشاطه. كما نعتقد كذلك أن هذا الإقبال الشعبي الذي حظي به الأمير من الأسباب التي عكرت صفو العلاقات بين الأمير والسلطان مما حال دون قيامهما بمقاومة مشتركة. فما هي السياسة التي انتهجها السلطان مع فرنسا وباقي القوى الأوروبية والحذر الشديد الذي تعاملت به فرنسا تجاه المغرب والذي أدى في نهاية المطاف، وبعد نصف قرن، إلى إبرام معاهدة الحماية مع المغرب (1912-1956) بدلا من الاحتلال كما هو الشأن في الجزائر كما توضح لنا هذه الرسائل كذلك العقلية السائدة خلال هذه الحقبة التاريخية والجهل العميق لهؤلاء الحكام بالقضايا لقادتنا في المغرب الكبير في العلاقات الدولية. السائدة آنذاك.

وأخيرا، أملنا في أن يقوم ناشرون آخرون بمبادرة من هذا القبيل تمكننا من مراجعة ماضينا بدون حقد أو كراهية أو عقدة تجاه أي أحد، لأن الكتابات الكولونيالية، تبقى، بدون منازع، جزءا من تاريخنا، ورفضها يعني تغييب مجالات واسعة من هذا التاريخ. طبعا، تتطلب قراءة هذا التاريخ قراءة نقدية من شأنها إبراز الجوانب التي تساعدنا على فهم جيد لتراثنا. وبغض النظر عن ذلك، يتعين الأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي لهذه الكتابات، ومستوى كتابها وبالأخص الدوافع التي أملت كتاباتها في هذه الحقبة.

ويجب أن يبقى عالقا في أذهاننا أنه بعد الصدمة الكولونيالية لسنة 1830، وما خلّفته من أهوال لم يعرف مثلها التاريخ المغاربي حيث تفككت مجتمعاتنا، فإن هذا النظام الكلونيالي الفرنسي دخل في تنافس

مع إنجلترا بموجب مقررات مؤتمر فيينا لسنة 1815 الذي أقر باقتسام العالم إلى مناطق نفوذ بين الدول الأوربية.

إن هذه الحرب على الجزائر تطلبت من فرنسا تحضيرات عسكرية دامت ثلاث سنوات (1827-1830). فبعد الاستحواذ على أموال خزينة الجزائر في ظروف غامضة، وتوزيعها، شرع النظام الكولونيالي في استقدام أجود تراجمته وعلمائه وضباطه ورجال كنيسته (بعد أن مهد الطريق للعمل العسكري المقيت) بغية توطيد دعائم الاحتلال على دراسات وابحاث دقيقة لمختلف مظاهر الحياة في البلدان المغاربية. كانت البداية من الجزائر التي شكلت المحور الذي انطلقت منه نحو إفريقيا وباقي البلدان المغربية حيث خضعت لفرنسا بموجب معاهدات الحماية لتونس (1882- 1956)، والمغرب (1912-1956)، وموريطانيا (1904-1961).

وفي ظرف وجيز أخذت تظهر أعمال ودراسات عديدة لن نذكرها كاملة مما يتطلب فهارس وفهارس. وعليه، سنكتفي بالإشارة إلى بعضها التي نعتبرها هامة وأساسية لمصلحة الإدارة الإستعمارية.

المـجلة الإفريقية (1956-1962)

تعتبر هذه المجلة بحق موسوعة حقيقية عن تاريخنا من حيث نوعية أبحاثها وجديتها في مجال التاريخ والجغرافية والأركيولوجية. مع أن بعض الباحثين وللأسف عديمي النزاهة الفكرية الذين يتصفحون هذه المجلة ويقتبسون منها من فوائد ومعلومات كثير، دون الإشارة إليها كمصدر أو مرجع.

الجمعية الجغرافية

تضم هذه الجمعية ثلاث وحدات بحث، وتصدر ثلاثة منشورات مختلفة لتسهيل البحث نظرا لمحدودية وسائل التواصل في ذلك الوقت.

موازاة مع الجمعيتين ظهرت مجموعة من المجلات المتخصصة من أهمها:

- *مجلة مدرسة الحقوق بالجزائر* (1872-1962)[1]
- *مجلة المدرسة الطبية* (1856 - 1962)[2]
- *مجلة مدرسة الآداب* (1856-1962)[3]
- *مجلة مدرسة العلوم* (1860-1962)[4]

وهذه المجلة تتوفر على حديقة للتجارب بالحامة مساحتها (80 هـــ) ثمانون هكتارا.

ولاستيعاب ما تحتويه هذه الكتابات بصفة جيدة من معارف، لابد من التمكن من اللغة التي كتبت بها. فقليلة هي الأشغال العلمية التي تناولت المنطقة المغاربية المكتوبة بلغات أخرى باستثناء الفرنسية والعربية التي كتبت بها أدبيات كثيرة. إلا أنه ليس من المستبعد أن توجد في الدول المطلة على البحر المتوسط وثائق مهمة محررة بلغات أخرى لها علاقة وطيدة بتراثنا الحضاري. لنأخذ اللغة العثمانية على سبيل المثال. فلا يعقل أن لا نهتم بتعليم وتدريس في جامعتنا هذه اللغة التي تربطنا مع دولتها أكثرمن ثلاثة قرون من التاريخ المشترك. كانت هناك محاولة لتدريس اللغة العثمانية كاختيار بالمعهد الجزائري لعلم الآثار، غير أن التجربة لم تكن في مستوى الروابط التي تربطنا بهذا البلد. فعلى المستوى الجامعي علينا تعلم ودراسة اللغات بصفة منتظمة للتمكن

---

1. *المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية والاقتصادية*، رقم 04-1994.
2. *الحوليات*، جامعة الجزائر، العدد 10، 1996، (ص 253).
3. نفس المصدر.
4. نفس المصدر.

من جمع كل شبر من تاريخنا لئلا يظل حكرا على مؤرخي محتلينا. فدراسة اللغات تساعدنا على فهم محيطنا المتوسطي، والانغلاق على الذات، من الناحية الثقافية شكل من اشكال الانتحار الجماعي على الأمد الطويل. يقول مولود المعمري في هذا الصدد : "إن العزلة مأمن حقا، ولكنها في ذات الوقت عقم".

علي تابليت

القسم الأول

في غضون سنة 1920، اقتنت الخزانة العامة للحماية بالمغرب كمية من الرسائل الشريفية تستحق التعريف بها بحكم أهميتها والموضوعات التي تتناولها والحقبة التي كتبت فيها. صدرت هذه الرسائل عن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام الذي تولى الحكم من سنة 1822م إلى سنة 1859م وقد تناولتها بالخصوص الأحداث التي عرفتها الجهة الوهرانية-المغربية عقب احتلال فرنسا للجزائر.

تاريخ هذه الرسائل يبتدئ من 10 أفريل 1829 إلى غاية 2 أوت 1848 وهكذا فهي تغطي المناورات الفرنسية الأولى للتمهيد لاحتلال الجزائر.

كانت هذه المراسلات سرية وجهها السلطان إلى ابن عمه الذي حل بمدينة تلمسان أو إلى أعوانه من مختلف المناصب العاملين بين هذه المدينة ومدينة تازة. إنها توضح بكل جلاء تداعيات هذا الاحتلال وانعكاساته على حياة السكان الأصليين في شمال إفريقيا. إلا أن ما يجعل هذه الرسائل تكتسي أهمية بالغة هو كشفها لقناعات السلطان مولاي عبد الرحمان وفضحها للجوانب الدفينة لسياسة المخزن في هذه الحقبة،

والتحولات التي عرفتها هذه السياسة حسب الظروف وطبيعة الأحداث.

إن هذه الرسائل تفسر كيف تفاعل السلطان مع الجار التركي، وموقفه من احتلال الجزائر (العاصمة) ومدينة وهران، وتصرفاته تجاه الاتجاهات المتضاربة للسكان الأهليين. وأخيرا تمكننا هذه الرسائل من الوقوف على الظروف والملابسات التي أملت على السلطان التدخل في الجزائر كما تعطينا فكرة مفيدة عن عقلية الأهالي وفن التحكم فيهم.

لفهم معاني هذه النصوص وإدراك قيمتها التوثيقية يتعين التذكير بالأوضاع التي كان عليها السكان في ظل الحكم العثماني.

قامت سياسة دايات الجزائر على إذكاء الخلافات بين السكان وتكريسها مما أدى إلى ظهور حزب موال للأتراك، وحزب وطني معارض لهم ـ فسكان الدواير والزمالة وبني عامر بضواحي وهران كانوا خاضعين للاتراك. أما في تلمسان فإن الكراغلة وهم من رعايا الأتراك ونساؤهم من أهل البلاد، فكانوا مع الأتراك وأكثر عداء لأهل تلمسان الأصليين. أما في وسط البلاد فكانت بعض القبائل موالية للأتراك وبعضها معادية لهم. بعض من هذه القبائل الأخيرة تدين بالطاعة والولاء للشيخ محي الدين، والد الأمير عبد القادر.

بعد احتلال الجزائر وطرد الأتراك منها، شعرت باقي مدن الإيالة بالتهميش وأصبحت القبائل في حالة مزرية، بحيث أخذت تطفو على السطح بوادر الصراعات القديمة تهدد باندلاع حرب أهلية. ولمواجهة هذه الوضعية الجديدة التي لم تكن في الحسبان، إضطرت القبائل إلى الحيطة والحذر بدون مماطلة، فسارعت كل فئة إلى الاحتماء بمن هو أقرب إليها، أو وراء شخصيات ذات نفوذ للدفاع عنها وتوجيهها وحكمها.

غير أن هذه السلوكات زادت من تفكك السكان وتوزيعهم بين جهات جذب واستقطاب مختلفة: فجهة الغرب مالت نحو سلطان فاس، وجهة الشرق نحو باي قسنطينة، وفي الوسط نحو الشرفاء والزعماء المحليين. وكان من المحتمل أن يختار السكان المرتبطين ماديا بالأتراك الانحياز إلى جهة فرنسا المنتصرة.

أدرك السلطان مولاي عبد الرحمان هذه الوضعية الصعبة فكان عليه، لكي يحل محل الأتراك، العمل والسعي على جمع كلمة المسلمين. هذه الاهتمامات كانت خطيرة وتجعلنا نتساءل هل سعى السلطان إلى جمع كلمة المسلمين بمجرد احتلال فرنسا للجزائر وحماية مصالحهم، أم أن الجزائريين هم الذين طالبوه بالتدخل لفائدتهم.

من حق طموحات السلطان اقتفاء خطوات أجداده والسير نحو الجزائر لفرض سيطرته على المغرب الأوسط بعد انتصاره على الفرنسيين، غير أن هذا الطموح لا يعدو أن يكون مشروعا بعيد المدى.

إلا أن ساكنة مدينة تلمسان الأعداء التقليديين للأتراك والكراغلة الذين حكموهم بالحديد والنار، مازالوا يتذكرون أن بلادهم تلمسان كان يحكمها شرفاء تحتضن مدينتهم فاس المولى إدريس. ولهذا لم يترددوا ولو هنيهة في إعلان الاحتماء بالسلطان مولاي عبد الرحمان صحبة القبائل التي التحقت بهم وتحالفت معهم. كان هناك إذا توافق في وجهات النظر ومصالح مشتركة بين الطرفين وتجاذب تلقائي.

وفضلا على ذلك، تجدر الإشارة إلى أن العلاقات بين المخزن وأتراك وهران وتلمسان لم تكن ودية وعلى مايرام. فالرسائل الأولى من هذه الرسائل المحررة بين أفريل وجوان 1829 والموجهة إلى قائد

وحدة السيد ادريس بن حمان الجراري، يدعو فيها السلطان إلى التريث والحكمة في التعامل مع باي وهران في شأن استرجاع الرعايا المغاربة، مقابل منحه مكافأة عن هذا العمل، ومؤكدا بأنه سبق له أن كاتبه في الموضوع. ولهذا يلح عليه بدفع المغاربة الذين تعرضوا للنهب من طرف الجزائريين إلى معاقبتهم عقابا معقولا.

أعلن قائد وجدة بظهور بواخر مسيحية بوهران والجزائر للاستطلاع، ولعلها البواخر التابعة للبحرية المكلفة بمحاصرة الجزائر (العاصمة) وباقي موانئ الإيالة والتي كانت تجوب غرب البحر المتوسط طولا وعرضا منذ أن رفض داي الجزائر منح الحكومة الفرنسية تعويضات عن الإهانة التي ألحقها الداي بالقنصل الفرنسي دوفال[1] (Deval).

في يوم 13 ماي 1830 أجاب السلطان قائد وجدة داعيا له بفشل التحركات الفرنسية. نحن غداة نزول القوات الفرنسية بالجزائر والاستطلاعات الأولية للبوارج البحرية مازالت لم تؤخذ بمحل الجد. غير أنه بعد مضي ثلاثة اشهر من الاستيلاء على الجزائر وطرد الأتراك منها، استولت قبائل أولاد رباح، وذويحي، والجويدات، وأولاد سيدي المجاهد، على منطقة مغنية، ووجهت وفدا إلى السلطان المغربي يلتمس منه دمجهم تحت سلطته بصفتهم رعاياه. لعل هذا الطلب كان بإيعاز من قائد وجدة، وقد استجاب السلطان لرغبة الوفد ووعدهم خيرا وذلك بتاريخ 15 أكتوبر 1830[2]. يبرر السلطان ما أقدم عليه بالاعتماد على آيات قرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على وجوب جمع كلمة المسلمين لأن

---

1. تقرر هذا الحصار يوم 15 جوان 1827 واستمر إلى احتلال الجزائر، أنظر *احتلال الجزائر* Camille Rousset باريس 1879، ص 29.
2. أنظر الملحق، الرسالة رقم 1.

المؤمنين إخوة، والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. كما دعا السلطان القبائل إلى الاتحاد لأن العدو الكافر من الأتراك والفرنسيين لهم بالمرصاد ويترقب عوراتهم للنيل منهم.

لم يتأخر السلطان في توجيه ابن عمه مولاي علي إلى مدينة تلمسان على رأس محلة ليستقر بها، وكلف السيد ادريس بن حمان الجراري ليكون وسيطا بين الأمير مولاي علي والقبائل المذكوره أعلاه.

بعد قبائل منطقة مغنية هاهم سكان مدينة تلمسان وبعض قبائل ضاحيتها يوجهون بدورهم وفدا إلى السلطان يعربون له عن رغبتهم في الدخول تحت حكمه وطاعته. أخبر السلطان قائده ادريس بن حمان بأنه قبل هذا الولاء غير أنه ألح عليه بوجوب تحرير رسالة من جانبه إلى باقي القبائل التي لم تبعث مندوبين عنها ضمن الوفد من أجل التعرف على نواياها، وهي قبائل لها وزنها في هذه الناحية كقبائل بني هشام بمعسكر، أوالقبائل التي تدين بالطاعة والولاء للشيخ محي الدين والد عبد القادر، وكقبائل بني عامر، والدواير، والزمالة المتواجدة بين وهران وتلمسان، والخاضعة للاتراك. وكما يلاحظ فإن السلطان وأعوانه يدمجون في خانة واحدة السكان المنتمين للحزب الوطني. وبما أن هذه المسألة حساسة فإن السلطان يملي الرسالة التي توجه إليهم وهذه فقرات منها:

"... قل لهم إن فلانا "السلطان" لا رغبة له في هذا الأمر وقد قدم عليه أعيان تلمسان وبعض قبائلهم وذكروا أنكم معهم على كلمة واحدة في الرغبة في الدخول في طاعته والطلب بحياطته وقد أجابهم بما طلبوا من ذلك طلبا لجمع كلمة المسلمين وحفظهم من أن يستفزهم العدو

الكافر ويفرق جماعتهم، وصونا لهم من الهرج والفتن وأنتم أولى من سعى في ذلك وقام به، فينبغي لكم أن ترغبوا فيه أكثر من غيركم، وقد عين ولد عمه الأرضى مولاي علي للتوجه لهذه النواحي وهو بصدد القدوم في محلة من جيشه قريبا. وهو من سلالة نبوية ينبغي لكم تقديم جماعة من أعيانكم لملاقاته عندنا تعظيما لقدره ورغبة في أمره، فإن لكم عنده من المنزلة والمزية فوق ما تظنون إن شاء الله ".

وأضاف السلطان، بأنه يتعين أن يحمل كل رسالة رسول أمين وذكي وحاذق قادر على شرح مضمونها شرحا وافيا، كما ينبغي عليه كذلك أن يزودنا بكل المعلومات بخصوص النوايا الدفينة التي تكنها القبائل وزعمائها حتى تتجنب الوقوع في أخطاء أو تعثرات. فعلى الإنسان أن يدرس الأمور ويقدر العواقب[1].

نفذ مولاي علي هذه التعليمات ونجح في مهمته ودخل مدينة تلمسان دخولا حماسيا تتبعه القبائل ورؤساؤها الذين جاءوا لملاقاته، وفي طليعتهم القائد المزاري بن اسماعيل، زعيم قبيلة الدواير والزمالة. وبخصوص هذا الزعيم، أوصى السلطان في رسالة بتاريخ 23 نوفمبر 1830، بالاعتناء به عناية خاصة هو وأمثاله تقديرا لمصداقية كلامه، ولكونه كذلك من أهل تلمسان. كما يعلن السلطان في رسالته بأنه وجه مائة كسوة لتكريم أعيان القبائل الذين يردون على الأمير تأليفا لهم وجلبا لغيرهم. كما يوصي السلطان بمعاملة الكراغلة بالإحسان وإن كانوا لا يستحقون ذلك حتى يغلب الإحسان على سيئاتهم[2].

---

1. أنظر الملحق، الرسالة رقم 2.
2. أنظر الملحق، الرسالة 3.

نصل الآن إلى الحقبة الانتقالية حيث احتل الفرنسيون الجزائر، وطردوا منها الأتراك الذين غادروها نحو المشرق، غير أنهم مازالوا يحتلون مدينة وهران، فظل الباي لوحده يحتج باسم سلطان القسطنطنية، فوجه السلطان المغربي رسالة إلى ابن عمه مولاي علي ليقول لباي وهران "إن السلطان رحب ببيعة ساكنة مدينة تلمسان والقبائل التي أقدمت على ذلك بتلقائية من أجل أن يساعدها السلطان ويجنبها الاقتتال بين الإخوة. أما بخصوص السلطان العثماني الذي أشرتم إليه، وباسمه تمارسون الحكم، فلم تعد لكم اية صفة لمباشرة ذلك. لقد كنتم فرعا من شجرة باشا الجزائر، وبما أن الشجرة قد سقطت فإن الفرع قد مات. وفيما إذا صدرت من سلطان الأتراك احتجاجا فإن العاهل المغربي أدرى وأعرف الناس بما يخاطبه به"[1].

كان خشان باي وهران رجلا مسنا وعليلا وبدون أولاد، ولعل هذه الأسباب جعلت الفرنسيين لا يقيمون له وزنا. أما أبناء البلد الجزائريين فلم يكونوا ينتظرون منه فائدة، مما دعاهم إلى الاحتماء بسلطان المغرب. تطرح مرة أخرى قضية الكراغلة والجنود الأتراك الذين احتلوا حامية تلمسان العسكرية وقلعة المشوار مشكلين معارضة قوية. وجه السلطان في شأنهم تعليماته إلى ولاته مفادها "...إذا رأيتم إمكانية تأديبهم ونزع الألفة منهم من غير إحداث فتنة أو اقتتال يرتاح له العدو، بل إذا ظهر لكم التبض على أعيانهم ورؤساء قبائلهم لإجراء الأحكام عليهم، فلا ترددوا في ذلك. بل أحسن من هذا إذا ظهرت لكم القبض على عشرين من أعيانهم وتوجيههم لحضرتنا مفيدا، ومن شأنه أن يردع الباقون، فاعتمدوا الرسالة المصحوبة بهذا الكتاب

1. أنظر الملحق، الرسالة 3.

لهذه الغاية. غير أنه لا يجب إطلاعهم عليها إلا بعد أن يعلنوا استعدادهم لتقديم الرهائن العشرين. أما إذا ظهرت منهم بوادر الرفض فلا تطلعوهم عليها وألقوا القبض على العشرين رهينة[1]. يلاحظ أن السلطان يحرص كل الحرص على الحفاظ على مجده ولا يريد التدخل بصفة شخصية إلا إذا تيقن من نجاح مساعيه.

غير أن الكراغلة صدرت منهم علامات الخيانة والمخاتلة ولا فائدة ترجى منهم. ولهذا قرر السلطان يوم 4 ديسمبر 1830 إلقاء القبض على رؤوس الفتنة وتوجيههم مكبلين إلى حضرته، كما قرر طرد الآخرين من قصبة تلمسان وتوزيعهم في مختلف أحياء المدينة بعد أدائهم غرامة معتبرة. وفي نفس الوقت أعلن السلطان توجيه الجيوش والمؤن والخيل والمدافع والأعلام إلى مدينة تلمسان.

قامت قبائل معسكر بدافع من الحاجة أو خوفا من التعرض لنفس المصير أو حدوث ما لم يكن في الحسبان، بتوجيه وفد إلى الأمير المغربي بتلمسان، لتقديم الولاء والطاعة للسلطان مولاي عبد الرحمان. شكر هذا الأخير ابن عمه مولاي علي على الحفاوة التي خص بها الوفد مؤيدا مبادرته في تعيين الطالب أحمد أمحوض والشيخ سيدي محمد بن المبارك محفوفين بعشرة من الخيالة لمرافقة الوفد اثناء عودته إلى معسكر. وقد تم اختيار الرجلين بدون شك لما يتميزان به من نباهة لاستمالة سكان جهة لا تخفى على السلطان أهميتها البالغة، ستظهر جلاء هذه الأهمية بحلول الأمير عبد القادر بها[2]. إن اسم هذا الرجل مازال لم يتداول بهذه الجهة، بيد أن والده السيد الحاج محي الدين كان

1. أنظر الملحق، رسالة 3.
2. أنظر الملحق، رسالة 3.

يتمتع بنفوذ واسع، وسبق له أن أعرب هو والقبائل المتواجدة ما بين الجزائر ومعسكر عن رغبتهم في الدخول تحت طاعة وحماية السلطان المغربي. ففي رسالة بتاريخ 4 ديسمبر 1830 بعث بها السلطان ويتعلق موضوعها بهذه الأحداث، يحث العاهل المغربي القبائل على الجهاد المقدس مبينا أنه يتعين تذكير المسلمين بوجوبه كما تنص على ذلك النصوص الشرعية. أما بخصوص باي وهران فقد تقررت كذلك مكاتبته لإبلاغه بأن السلطان المغربي على كامل الاستعداد، فيما إذا قدم ولائه للسلطان، لمنحه حماية ويضمن له حياة لائقة وجديرة بمسلم صالح. أما إذا تصرف عكس ذلك فسيخسر الدنيا والآخرة.

هناك فقرة من هذه الرسالة تعبر عن خشية حقيقية وتردد في أخذ قرار بخصوص زيارة مرتقبة لشيخ الطريقة الدرقاوية الحاج العربي إلى باي وهران.

بالرغم من إبداء تخوفاته، فوض السلطان الأمر لنوابه فسمح لهم بتوجيه الدرقاوي لمرافقة باي الأتراك من وهران إلى تلمسان مؤكدا لهم أخذ الحيطة لتجنب أية مغامرة في هذا الشأن. غير أنه سرعان ما تراجع عن قراره فيعطي تعليمات صارمة حول الموضوع مفادها: "على السيد العربي أن لا يتوجه عند باي وهران لمرافقته، بل يجب توجيه بعض الشيوخ العرب المختارين للرئيس التركي يوحون إليه بالاطمئنان والثقة، يسير خلفهم صحبة اثنان أو ثلاثة من حراسه الخاصين..." ويضيف السلطان يمكن القيام بزيارة تبركية للسيد الحاج العربي إن رغب في ذلك كما تقتضيه التقاليد المتبعة التي تريد بأن يتلقى الدرقاوي الزيارات ولا يقوم بها"[1].

---

1. كان برفقة الباي 800 جندي تركي.

يتجلى من قراءة هذه الفقرة بأن السلطان يتخوف من لقاء بين الدرقاوي والباي وفي وهران بالذات. كما يخشى تصرفات الجنود الأتراك الخيالة في حالة تفاهمهم مع جنود الكراغلة المتواجدين بمدينة تلمسان واستمالتهم للعناصر العربية خدام الأتراك سابقا وتأثير الدرقاوي في الجميع.

بصرف النظر عن هذه التخوفات المشروعة نقرأ بين السطور الرغبة الملحة للسلطان في احتجاز باي وهران وأتباعه. فمن شأن نجاح هذه الخطة أن تضمن للسلطان وحلفائه موقعا متميزا[1].

بعد أن تم توجيه رهائن تلمسان إلى السلطان، وجه هذا الأخير رسالة بتاريخ12 ديسمبر 1830 إلى الكراغلة يحيطهم فيها علما بأنه وصل إلى حضرته الشريفة إخوانهم مكبلين. ورعيا لشفاعة مولاي علي، وادريس بن حمان الجراري فيهم، فقد سرحهم السلطان وأكرمهم ودعاهم إلى أن يكونوا عند حسن الظن، وتعهدهم بحمايته ورعايته. ويستشف من سلوك السلطان وتعامله مدى حنكته السياسية التي اعتمدت التهديد والوعيد، والرحمة والغفران وهي مواقف جد مدروسة ومحسوبة[2].

إن حلول واستقرار الفرنسيين بمدينة وهران غير الأوضاع. فقد تسرب الفشل والوهن إلى داخل القبائل، وفتر حماسها، وضعف تضامنها.

وما أن علم السلطان بهذه الوضعية حتى وجه بتاريخ 18 ديسمبر 1830 كتابا إلى ابن عمه مولاي علي يأمره بدعوة أعيان القبائل

1. أنظر الملحق، رسالة 5، آخر السطر.
2. أنظر الملحق، رسالة 7.

التي أعلنت بيعتها للسلطان وطاعتها، وفي مقدمتها قبائل معسكر وغيرها، للمثول امامه. بعد ذلك عليه أن يختار رجلا مؤهلا كالفقيه بن سعد ليخطب فيهم مذكرا إياهم بما يلزم من أعطى البيعة من الواجبات مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بخصوص باب الجهاد والحث عليه والوعيد والعقاب لتاركه. فعلى الخطيب أن يقتطف كل هذه الأسانيد من كتب الحديث مثل الصحيحين و كتب أخرى. بعد هذه الخطبة يوجه لهم الكلام التالي "... إن كنتم تحافظون على شروط البيعة وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وتقاتلون على دين النبي عليه الصلاة والسلام الذي هو دينكم، وإن كنتم كذلك تدافعون على شرفكم وحسبكم وأولادكم وبلادكم لتنالوا عز الدين وشرف الآخرة، فنحن من جملتكم وأمثالكم نقاتل بدورنا في سبيل الله ونقدم لكم العون والتأييد، وأن كنتم لا تقاتلون في سبيل دينكم وإعلاء كلمة الله وترضون بالدخول تحت كنف الكفار وتمكنوهم من مصالحكم الدنيوية، فمالنا وما لكم ؟".

واضاف السلطان "... إبعث إلي بنسخة من الخطبة الموجهة لهم وعلى ظهرها ما أجابوا به وعلى أساسه تبني ثقتنا معهم، ومدى اعتمادنا عليهم[1].

في رسالة شريفية بتاريخ 5 جانفي 1830 ينهي السلطان إلى علم ولد عمه مولاي علي بأنه تلقى البارحة بواسطة رسالة وردت عليه من طنجة معلومات مفادها: لقد رست بميناء طنجة باخرة فرنسية طلب أحد رؤسائها مقابلة العامل. وكان موضوع المقابلة لا يبعث

1. أنظر الملحق، الرسالة 8.

على الارتياح. لقد تحدث عن وهران وتلمسان وكذا المناطق التابعة لهما. كان يحمل معه رسالة موقعة من طرفك وعليها خاتمك وتلمح الرسالة إلى أسرك لثلاثين كرغلي والذعيرة التي فرضت عليهم بالقوة. كما ذكر بكل تفصيل ما تم حجزه للكراغلة وغيرهم. هذا الرئيس هو الشخصية الثالثة التي اهتمت بهذه الأحداث وهددنا بالحرب ومحاصرة ميناء طنجة إذا لم نرحل على مدينة تلمسان.

إني أحيطكم علما بهذه الأخبار والوقائع لكي تتخذوا احتياطين، أولا عليكم أن تكونوا على بينة من صدق المراسلين الذين تعتمدون عليهم ومدى وفائهم لكم. فهذه الملاحظة نعني بها الشخص الذي سلم رسالة مولاي علي إلى الفرنسيين. ثانيا عليكم أن تضبطوا بكل دقة الأغراض التي حجزت للكراغلة لأن العدو الكافر أحبط الله مسعاه لابد وأن يثيرها مما يتعين علينا مواجهته بالحجج والتدابير التي أخذناها في هذا الشأن لتطويق المباحثات. فالنصارى عندما تظهر لهم الطيبوبة يردون عليها بالمزيد من الجسارة، وإذا فتحنا لهم نافذة، يفتحون أبوابا. وعليه، فالصرامة وحدها هي التي توقفهم عند حدهم. ففيما إذا تخلينا لهم على مدينة تلمسان، فسيطالبوننا بكل ما فرضناه على ساكنتها. علينا إذا صد الأبواب في وجوههم للحد من طموحاتهم في المرحلة الأولى ثم العمل على طردهم بعد ذلك.

يتعلق الأمر بمهمة العقيد Auvray الذي كلف بالتوجه إلى طنجة لتقديم توضيحات حول تدخل السلطان في مدينة تلمسان. إلا أن هذا الضابط تم حبسه بمدينة طنجة من طرف عاملها ولم يتمكن من السفر إلى مدينة فاس، فقفل راجعا[1].

1. تم توجيه هذه البعثة الفرنسية إلى طنجة بعد احتلال وهران من طرف الجيوش الفرنسية يوم 10 ديسمبر 1830.

بدأت الحالة تظهر للسلطان معقدة شيئا ما بعد أن أحاطه مولاي علي علما باحتمال التخلي عن تلمسان. فخاطبه السلطان قائلا "... لا تتخذ قرار التخلي إلا بعد اليأس الكامل من وفاء القبائل. وفي كل الأحوال، سواء أغادرتم تلمسان أو بقيتم فيها، عليكم أن تجدوا حلا لمسألة الكراغلة ، وذلك بتأديبهم أشد التأديب. إنهم لا إيمان لهم ولا قانون، فهم المحركون لكل القلاقل التي تعرفها المنطقة، وإعلان الجهاد ضدهم أولى من إعلانه على النصارى، فهو الوحيد الذي يضمن لكم قليلا من الطمأنينة. أما السكان غير الكراغلة المتواجدون بتلمسان والذين دخلوا تحت طاعتنا وحمايتنا والتمسوا منا العون، فلا يحق لنا أن نتركهم بين مخالب الكراغلة مما سيرتاح له العدو. وعليه، ألح عليك كل الإلحاح القضاء بكل الوسائل على الكولوغليين". وفي الغد، أي 6 جانفي 1831، أعلن السلطان توجيه 200 فارس من جيش البخاري برئاسة أحد القادة وجنود من العرب والبربر.

ظلت مسألة التخلي عن تلمسان تشغل بال السلطان وأمرها مرتبط أساسا بسلوك الكراغلة. ولهذا أبدى تحفظات في الرسالة التي وجهها بتاريخ 13 جانفي 1831 إلى ابن عمه مولاي علي. في هذه الرسالة ينهي إلى علمه بأنه بعث إليه بكمية من سلاح المدفعية وكتيبة من جنود أهل الغرب مضيفا في رسالته بأنه إذا سمحت الظروف بالبقاء بتلمسان وعاد الكراغلة إلى صوابهم، فإن عساكر من قبائل كروان تحت قيادة السيد بن ناصر أو ميمون ستوجه إلى مليانة، وعساكر من قبائل بني مطير تحت قيادة ولد امجوط إلى معيسكر. وبالمناسبة نفسها يوصي السلطان بأداء رواتب العساكر بصفة منتظمة نقدا أو عينيا، وبصيانة الأموال وتسجيل المداخيل والصوائر بكل دقة

في كناش الحسابات لأن لهذه العمليات مفعولها في التوفيق والنجاح. كما أوصى القادة العسكريين بالتفاهم والتآزر تاركين لجنودهم حرية الاختيار للعمل مع من يرغبون الخدمة معه ويرتاحون له فلا ينبغي عليهم أن يطردوا أحدا من العساكر أو يرغموه على فعل ما يقلقه لأن من شأن ذلك أن يتسبب في نزاعات بالغة الخطورة.

يشير السلطان بتوصله برسائل واردة عليه من مدينة مليانة ومن السيد العربي أحد شيوخ غليزان المرموقين. واحدة من هذه الرسائل موجهة خصيصا إلى بن زعمون الذي يقود الجهاد المقدس شرق الجزائر وبلاد القبائل ويستحق الدعم والتشجيع. ولهذا يوصي السلطان بأن تسلم لهذا المجاهد هذه الرسالة بصفة سرية مصحوبة بالنصوص الشرعية المتعلقة بباب الجهاد.

هناك رسالة أخرى بتاريخ 15 جانفي 1831 وردت فيها معلومات حول توجيه معدات للمدفعية مع ذخيرتها و200 من فرسان العرب بقيادة المؤمن والمجاهد كورية، والجميع تحت مسؤولية القائد عبد القادر بن العاصي. هذه الإمدادات ستتبعها 10 فرسان من الحيانية. أما إذا دعت الضرورة إلى القيام بحملات استطلاعية بمدينة وهران فيوصي السلطان بإسناد هذه المهمة إلى القائد عبد القادر يرافقه عشرون فارسا فقط.

ظن السلطان أن الظروف أصبحت مرضية مما دعاه إلى توجيه الرسالة التي حررها السيد السعيدي إلى المسلمين من أجل تعبئتهم وإعادة الثقة في نفوسهم والإيمان بالنصر القريب نظرا لفشل العدو الكافر في تحقيق مشاريعه وما لحق به من أضرار بالغة وأن نعمة الله على المسلمين لا تحصى.

ليس الأمر كما ظن السلطان، الواقع هو أن فرنسا سحبت قسما من جيوشها الاحتلالية إلى فرنسا مما حتم على الجنرال القائد العام تكثيف ما تبقى من الجنود حول الجزائر (العاصمة) والجلاء عن مدينة المدية التي كان ثمن احتلالها غاليا جدا[1].

في نفس الوقت وجه السلطان كدعم عسكري: 124 رجل من العرائش، 50 من الخلط وطليق، 140 رجل من الصويرة، 140 رجل من جيش عبيد البخاري من مراكش، أكثر من 100 فارس من جبالة والريف وكلهم في غاية التزويد، مشجعا وواعدا إياهم بالنصر النهائي.

لما أعلن السلطان توجيه هذه الإمدادات الجديدة إلى عمه مولاي علي وإلى عامله بتلمسان وذلك بتاريخ فاتح فيفري 1831، خاطبهم قائلا : "لن أصدر تعليمات لرؤساء هذه العساكر الذين عليهم أن يخضعوا لأوامركم لأنه من الواجب احترام مبادئ التراتبية العسكرية ووحدة العمل والرؤى فيما بينكم. فعليكم أن تضعوا كل قائد من هؤلاء في المكان المناسب حسب مؤهلات كل واحد. فإذا كانت النتائج مرضية، فالفضل يرجع لكم، وإذا كان العكس، فتتحملون وحدكم المسؤولية. فأحرصوا كل الحرص على الحفاظ على مصالحهم لأن من واجبكم حمايتهم مقابل خدماتهم لكم.

في نفس الوقت تعود من جديد مسألة الكراغلة. لقد بلغ إلى علم السلطان بأن العناصر الطيبة منهم تود الابتعاد عن العناصر العنيفة وتخشى أن يلحقها التعذيب وتتعرض للعقاب. ولهذا يوصي السلطان بالبحث عن الوسلية التي تجنب العناصر الطيبة ذلك، بعزل الأولين

---

1 الأوضاع العامة في أوربا هي التي حتمت على فرنسا جلاء جزء من جيوشها الاحتلالية إلى فرنسا فتقلص عددهم في الجزائر إلى 9.300 رجل.

بطريقة ذكية عن الآخرين لتسهيل ضربهم ومعاقبتهم. فالله تعالى يعاقبهم. كما كتب إلى القائد بوزيان للسعي إلى استمالة مائة من الكراغلة بالإقناع والحجة ليسهل لجيش السلطان الدخول إلى القصبة لحمل الكراغلة المتحصنين بها إلى الرجوع إلى الصواب، ولهذا فيجب أن تتم هذه العملية في سرية تامة.

بتاريخ 24 فيفري 1831 أصدر السلطان تعليماته إلى أعوانه يحثهم فيها على التزام الحذر واليقظة التي يمليها انعدام الثقة في قبائل الجهات التي كانت تحت حكم الأتراك، وكذلك سلوكات الكراغلة، جاءت تعليمات السلطان كما يلي: "تبعا للأوامر التي اصدرتها بشأن السماح لكم بتفقد ضواحي تلمسان بجيشكم للتعرف على نوايا قبائلها، عليكم أن تأخذوا الحيطة والحذر وأن لا تبتعدوا عن تلمسان إلا بمقدار يوم أو يومين، وأن لا تخطوا خطوة حتى تتحققوا بسلامة من وراءها لأن قائد المحلة كرئيس سفينة لا يوجهها إلا صوب المكان الذي يتحقق من سلامتها فيه" ويضيف السلطان "...كونوا على بال من جيشكم وقواده، حريصين على حماية أنفسكم وقواتكم، فأنتم في بلد ليس ببلدكم ويصعب عليكم التمييز بين السكان الصالحين والطالحين، بين العدو والصديق. وعليه فمقامكم في تلمسان أولى وأفيد، وأن ظهر لكم توجيه إلى البلاد المجاورة جماعات من الفرسان من 100 إلى 200 رجل، أو أكثر، حسب الجهات، فلا باس إن كان ذلك ضروريا. فالقادة والأعيان تحت تصرفكم فاستفيدوا من مؤهلاتهم فقد يمدونكم بمعلومات مفيدة تساعدكم على أخذ قراراتكم على بينة ومعرفة. فلا تخفى عليكم سيرة البايات وتصرفاتهم إذ كانوا يتحولون في البلاد

ويضربون في المكان المطلوب ثم يعودون إلى قواعدهم، فعليكم أن تنهجوا نفس الخطة وتحتفظوا بمراكز قيادتكم مادامت الضرورة تفرض ذلك"[1].

لم يقع التفاهم بين نائبي السلطان الأمير مولاي علي، وإدريس الجراري، اللذين استقرا بمدينة تلمسان، فوجه إليهما أحد أبناء عمومته مولاي عبد المالك، طالبا منهما أن يكونا مجلسا استشاريا وأن لا يأخذا أدنى قرار إلا بمشاورته والأخذ برأيه.

في هذا الوقت بالذات اقدمت فرنسا على خطوة سياسية غريبة تجلت في تعيين أمير تونسي حاكما على مدينة وهران والحدود المغربية الوهرانية. لم يفهم السلطان الغرض من الخطوة الفرنسية الرامية إلى تكوين هذه الدويلة فسعى إلى تجمع المعلومات حول هذا الموضوع وحول القبائل الوهرانية التي تؤيد هذا المشروع. إلا أن الحكومة الفرنسية لم تصادق على القرار الذي اتخذه قائد القوات الفرنسية بدون علم وموافقة وزارة الخارجية والدفاع، فاضطر الأمير التونسي إلى العودة إلى بلاده[2].

وقعت أحداث خطيرة وردت تفاصيلها في رسالة بعث بها السلطان إلى ابن عمه مولاي علي بتاريخ 8 مارس 1831. ويتضح من مضمون هذه الرسالة أن الأوضاع ليست على ما يرام وإن القبائل الموالية للأتراك لا تبعث على الاطمئنان، ويوضح السلطان مشاعره قائلا. "واعلم أنه منذ أن وجهناكم بمحلتكم إلى تلك النواحي وأفكارنا متعبة وقلوبنا مشوشة وتارة يرد علينا ما يسر من الأخبار وتارة عكس ذلك. لم يكلفنا الله بهذا

1. أنظر نص الرسالة رقم 9 (الملحق).
2. باقتراح من القنصل العام الفرنسي في تونس، وباسم عاهل هذه الدولة، قرر المارشال Clauzel بتاريخ 6 فيفري 1835 تعيين أمير تونسي على وهران مقابل دفعه مليون فرنك سنويا.

ولا حاجة لنا باقتتال المسلمين وسفك دمائهم بغير حق. فإذا التزم سكان هذه الناحية باقوالهم وأعربوا عن طاعتهم وإخلاصهم، فالمبادرة يجب أن تأتي منهم وليس منا. فمن وفى بما عاهد الله عليه، فعاملنا على وجدة يتصرف معه على وجه الطاعة والصلاح، ومن ارتد وتنكر لعهوده فلا حاجة لنا به حتى يقف على رايه ويعلم عاقبة أمره ومن وجعته الضرس يبحث عن الكلاب. وعليه، وتبعا للاوامر التي أصدرناها إليك، عليك أن تجمع وحدات جيشك وتعود فورا، بعد تعيين قياد وشيوخ على كل قبيلة ومدينة يكونوا تابعين وخاضعين لعامل وجدة"[1].

طبعا، هذه القرارات جاءت بعد أن احتل الفرنسيون مدينة وهران وما أحدثه هذا الإحتلال من تحولات في صفوف الجزائريين. فهناك فريق من الأتراك إنحاز كلية إلى جانب الفرنسيين المحتلين الذين حلوا محلهم، وهناك الفريق المعارض المتكون من سكان الجهات الداخلية الذين يخضعون للشيخ محي الدين، والد الامير عبد القادر، والذين أعلنوا الجهاد ضد المحتلين بوسائلهم الخاصة. ومع الوقت سيتخلص كل فريق من حكم سلطان المغرب ونوابه.

برسالة 8 مارس 1831 تنتهي الحقبة التي كان فيها السلطان المغربي، بصفته أميرا للمسلمين، يتدخل في البلاد الجزائرية بطلب من السكان بما فيهم الأتراك في محاولة لبسط نفوذه والإحلال محلهم ولكن بدون جدوى.

ودعما لهذه المذكرة، نلحق بها أهم الرسائل المصورة مع ترجمتها إلى الفرنسية.

1. أنظر الرسالة 10، الملحق.

وثائق ملحـقة

1

(5 أكتوبر 1830)

من السلطان إلى القبائل العربية

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خدامنا قبائل العرب الغرابة كافة أولاد رياح، وذوي يحيى، وأولاد أحيا، والجويدات، وأولاد السيد مجاهد، ومن أنصاف لكل قبيل، أصلحكم الله، ووفقكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد: لقد وصل لحضرتنا العلية بالله تعالى جماعة إخوانكم، مؤكدين لبيعتكم نائبين عنكم في الوفود على مقامنا الشريف، طالبين الانخراط في سلك رعيتنا، والدخول فيما دخل فيه المسلمون، فقبلنا بيعتهم، وأجبنا دعوتهم، رعاية لجمع كلمة الإسلام وغيرة على جانبه الشريف. فإنما المؤمنون أخوة. وفي الحديث المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا وأنتم إخوانا في الدين، يجب علينا مراعاة أخوتكم، وتجوازكم، وجمع كلمتكم، فمرحبا بكم وأهلا لكم ما لرعيتنا من الحفظ والرعاية، وعليكم ما عليهم من الخدمة والحرمة. وها نحن وجهنا

خليفتنا ابن عمنا الأرضي مولاي علي مع محلتنا السعيدة وجعلنا خالنا الطالب إدريس الجراري، واسطة بينكم وبينه، فاسمعوا له وأطيعوا في جميع ما يأمركم به، من أمور خدمتنا الشريفة، وكونوا عند الظن بكم في الخدمة والنصح لله ورسوله، ولإمامكم، فإن الدين النصيحة، وقد أمرناه أن يسوسكم بكتاب الله وسنة رسول الله، وما شرعته أئمة الأمة.

1

فإن أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم. وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله فليحذر الذين يخالفون عن أمره، أن تصيبهم فتنة، ويصيبهم عذاب أليم، واعلموا أن العدو الكافر لكم بالمرصاد، يترقب عوراتكم، فمهما رأى فرصة إلا وبادر لانتهازها، فينبغي لكم أن ترغموا أنفه بالاستقامة وانتظام الكلمة. فإن ذلك يسوءه، وأي شيء يحب عدو الدين للمسلمين؟ قال تعالى :"ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" والله يوفقكم والسلام.

في 17 ربيع الثاني عام 1246 (5 أكتوبر 1830)

2

(10 أكتوبر 1830)

من السلطان إلى الطالب بن حمان الجراري

الحمد الله وحده وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

خالنا الأرضى الطالب ادريس بن حمان الجراري[1]، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد كتبنا كتبا لقبائل تلك النواحي التلمسانية سترد عليك صحبة أصحابك الواردين مع جماعة أهل تلمسان، ولا بد من تقديم كتب من عندك على وجه الاختبار للقبائل الذين لم يقدم أحد منهم. وهم العمدة في تلك النواحي، مثل: بني عامر[2]، بني هشام[3]، والزمالة[4]، والدوائر[5]. فإن عليهم مدار أمرهم.

1. هذا الشخص كان عاملا على وجدة.
2. قبائل الجهة الشمالية لسيدي بلعباس.
3. قبائل مسكر.
4. قبائل وهران.
5. النص يحمل (فلان) والضرورة تستدعي أن من يكتب لا يشير إلى اسم غير هذا.

2

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

خالنا الأرضى الطالب ادريس بن حمادي الجراري وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته وبعد فقد كتبنا لقبائل تلك النواحي التلمسانية بمثل
[illegible] الجواب الوارد من جماعة أهل تلمسان وكان بعض منهم كتب من عندنا
على وجه الاختبار للقبائل الذين لم يقدم أحد منهم [illegible] في تلك النواحي مثل
بني عامر والحشم والرشايلة والدوائر فإن عليهم مدار أمرهم فبوصول كتابنا هذا
إليك اكتب لكل قبيلة منهم كتابا بأمر منا وقل لهم أن فلانا لا رغبة له في هذا
الأمر وقد قدم علينا أعيان تلمسان وبعض قبائلهم وذكروا أنكم معهم على كلمة واحدة
في الرغبة في الدخول في طاعتنا والطلب لحمايتنا وقد أجبناهم لذلك
طلبا لجمع كلمة المسلمين وحقنا لدمائهم من أن يتسلط عليهم العدو الكافر ويفرق جماعتهم
وصونا لهم من الهرج والفتن والشتات فمن سعى في ذلك وقام به فينبغي لكم أن تخبروه
[illegible] وقد عين ولد عمه الأرضى مولاي علي للتوجه لتلك النواحي وهو بصدد القدوم
في محلة من جيشه [illegible] ينبغي لكم تقديم جماعة من
أعيانكم [illegible] في أمره فإن لكم عندنا من [illegible]
[illegible] إن شاء الله ووجه بكل كتاب رسولا [illegible]
[illegible] وما ورد عليك من الجواب [illegible] على بصيرة
ولا تغتر [illegible] ينبغي للإنسان أن يختبر الأمور وينظر العواقب وإن ورد عليك [illegible]
المحلة قبل ورود جماعتهم فاجعل له الإقامة هناك [illegible]
[illegible] وصول المحلة مقدمة من [illegible]
[illegible] الأحوال ويختبر الأحوال [illegible] وعشرة من أخوالنا الأ[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فبوصول كتابنا هذا إليك، أكتب لكل قبيلة منهم كتابا من عندك، وقل لهم أن فلانا لا رغبة له في هذا الأمر. وقد قدم عليه أعيان تلمسان وبعض قبائلهم. وذكروا أنكم معهم على كلمة واحدة في الرغبة في الدخول في طاعته، والطلب لحياطته. وقد أجابهم لما طلبوا من ذلك طلبا لجمع كلمة المسلمين، وحفظهم من أن يستفزهم العدو الكافر، ويفرق جماعتهم، وصونا لهم من الهرج والفتن. وأنتم أولى من سعى في ذلك، وقام به، فينبغي لكم أن ترغبوا فيه أكثر من غيركم. ولقد عين ولد عمه الأرضى مولاي علي للتوجه لهذه النواحي. وهو بصدد القدوم في محلة من جيشه، يصبحكم أو يمسيكم، وهو بضعة نبوية، ينبغي لكم تقديم جماعة من أعيانكم لملاقاته عندنا تعظيما لقدره ورغبة في أمره. فإن لكم عنده من المنزلة والمزية فوق ما تظنون إن شاء الله، ووجه بكل كتاب رسولا حاذقا فطنا ليأتيك بجوابهم، ويخبر باطن أمرهم، وما ورد عليك من الجواب بكتبهم ولسان رسلك أخبرنا به، لنكون على بصيرة. ولا تغتر، فإنه ينبغي للإنسان أن يختبر الأمور، وينظر العواقب. وإن ورد عليك ابن عمنا مع المحلة قبل ورود جماعتهم، فاجعل له الإقامة هناك بقصد الاستراحة أياما وأنت تختبر، ووجه عند وصول المحلة مقدمة من الجيش صحبة قائد عاقل فطن لتلمسان، يصلها أولا، ويختبر الأحوال، ويخبرك. والمقدمة التي تقدم معه عشرة من وصفائنا، وعشرة من أخوالنا الاوداية[1] وعشرة من أخوالنا شراكة، وعشرة

---

1. رجال السلطان هم: ابن عمه الأمير مولاي علي، الذي يمثله لدى سكان المغرب الشرقي والأراضي الخاضعة للأتراك، ابن خاله إدريس بن حمان الجراري، عامل وجدة وابن خاله الشيخ بوزيان، عامل تازة، هذا الأخير يعتبر أن "ابني الأخوال" لأنهما ينتميان إلى قبائل عربية معقلية تزوج منها بعض الأمراء الفلاليين، مثل إسماعيل الذي تزوج ابنة الشيخ بكار من مغافرة موريطانيا، ونلاحظ كذلك أن السلطان م.عبد الرحمن كان يعتمد كثيرا على العنصر العربي.

من الأحلاف. وكن عينا وأذنا، ولا تغتر بظاهر الأمر دون أن تقف على باطنه. فإذا اختبرت الأحوال، ووجدت الأفعال موافقة للأقوال، وقدمت عليك جماعة القبائل التي لم تقدم أعيانها، فحينئذ أقدم مع خليفتنا ومحلتنا (بعد الاستعداد والاطلاع بدقة على الحالة) الله يرعاكم والسلام.

في 22 ربيع الثاني عام 1246 (10 أكتوبر 1830)

3

(23 نوفمبر 1830)

من السلطان إلى مولاي علي والطالب الجراري

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولد عمنا الأبر الأرضى مولاي علي، وخالنا الأرشد الطالب إدريس بن حمان الجراري، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابكم، وصحبته كتاب الباي خشن[1] ومن معه، وعرفنا مضمن ذلك. فأجيبوه عن كتابه. أما ما ذكرت على سبب قدومنا لهذه النواحي[2]، فإن أهل هذه الناحية خشوا على أنفسهم من وقود نار الفتنة[3]، فقدموا على حضرة فلان سائلين حمايته، وعنايته، فوجهنا اخمادا لنار الفتنة، وتسكينا للروعة، وحسما لمادة الثوار. وأما أنت وقولك الملك للعثماني وإنما أنتم ساعون في إجراء حكمه. ولا مدخل لكم، فاعلم أنك فرع من شجرة الباشا الذي كان بالجزائر. وقد فقد بحيث ذهب الأصل فقد ذهب الفرع. وأما السلطان العثماني

1. باي تركي بوهران، أطلق عليه المؤرخون خطأ في النطق حسن.
2. يتعلق الأمر بتلمسان التابعة لبايليك وهران.
3. إشارة إلى العداوة بين الكراغلة والتلمسانيين

فنحن أعرف الناس به. فإذا قدم مدده، وظهر أمره، فكلامنا معه. ونحن أدرى بما نخاطبه به. فإنا قدمنا لهذا الأمر على بصيرة من ديننا، وعلم بما نأتي، ونذر. ولسنا من الجاهلين الذين يبيعون آخرتهم بدنياهم، ولا من الذين يريدون علوا في الأرض، ولا فسادا، والعاقبة للمتقين، وما يناسب هذا. وأما الكراغلة ، فإن ظهر لكم الانقياد منهم ظاهرا فاتركوهم، واسعوا في تأليف القبائل وجلبها، ونظم كلمتها حتى يستقيم أمر الجميع، فحينئذ يسهل أمرهم، ولا يعجزون أن ظهر منهم امتناع وإباء.

وإن علمتم أنكم تقدرون على تأديبهم، وإجراء الأحكام عليهم، ونزع الأنفة منهم من غير إحداث فتنة، أو قتال يشمت الأعداء ويوقع في المعرة بل يقبض الأعيان والرؤساء منهم، وإيداعهم السجن، حتى ينصفوا، وتجري عليه الأحكام، ويرجعوا كغيرهم من الرعايا، فافعلوا. وإن ظهر لكم توجيه نحو العشرين من أعيانهم لحضرتنا الشريفة ليسكن الباقون، فها كتابنا يصلكم على ذلك. فإن علمتم منهم الانقياد لذلك، فاظهروه لهم، ووجهوهم لعلي حضرتنا، وإن علمتم أنهم لا يمتثلون، فلا تظهروا الكتاب. وعاملوهم بما قدمنا لكم أولا، حتى يتسق الأمر، ولا يبقى إلا هم. فحينئذ يكون الكلام معهم، إن شاء الله تعالى وعلى هذا العمل إن شاء الله. فكلما وجدتم لتأخير أمرهم سبيلا، والستر عليهم فافعلوا. فبالأغضاء عنهم يتألف غيرهم. وأما ابن زعموم الذي ذكروا في كتابهم، وأنه معهم، فها كتابه بطابعه يصلك، لتعلم فجورهم، وأن ما كتبوا به، إنما هو تمويه وحيلة، فتنبه لمثل ذلك[1].

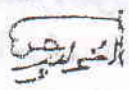
السلام والمحبة.

في 7 جمادى الثانية عام 1246 (23 نوفمبر 1830)

---

1. بعد احتلال الجزائر، قدم بن زعموم أحد زعماء القبائل عروضا مقترنة بشروط. هذه العروض لم تقبل. مما دفعه إلى معاداة الفرنسيين، (أنظر كامي روسي Camille Rousset)، بدايات احتلال، جزء 1 ص 56).

3





[illegible]

4

(23 نوفمبر 1830)

من السلطان إلى ابن عمه مولاي علي

الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ولد عمنا الأبر الأرضى مولاي علي، أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بملاقات طلائع قبائل تلمسان أثناء الطريق، وترادفهم عليكم قربها، حتى دخلتموها في جموع المسلمين متوافرة، وما ظهر لكم في الجميع من حسن الانقياد والامتثال، وما أظهروا من الفرح والسرور بالدخول في بيعتنا، والكون من جملة رعيتنا. ولا زالت وفود القبائل البعيدة ترد عليكم أفواجا، فذاك هو الظن في الله، والمعهود منه سبحانه[1] من تيسير أمورنا. إذ هذا الأمر دخلناه بنية صالحة، وآمال بفضله ناجحة، غيرة منا على الدين وأهله، وإخمادا لنار الفتن، بجمع كلمة المسلمين، ما تعسر مطلب أنت طالبه بربك. ومن أشرقت بدايته أشرقت نهايته، وعلامة نجح (نجاح) النهايات الرجوع إلى الله في البدايات. والله متم نوره ولو كره الكافرون. وقد أحسنتم في النزول في الديار التي عين أهل البلد لكم، لخراب النوبة، وعدم صلاحيتها للنزول، فقد يرى الحاضر ما لا يراه الغائب. وقد أحسنتم في إكرام القائد المازري بقبة خالنا الطالب ادريس الجراري، لما رأيتم فيه من مخائل الخدمة والصدق فيها.

---

1. إشارة إلى الآية القرآنية

4

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



ولد عمنا الأبر الأرضى [illegible] أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بما لاقيت [illegible]
قبائل تلمسان أثناء الطريق وترادفهم عليكم فوجا حتى دخلتموها وقابلكم [illegible]
من [illegible] متوافرة وما ظهر لكم في الجميع من حسن الانقياد والامتثال
وما أظهروا من الفرح والسرور بالدخول في بيعتنا والكون من جملة رعيتنا
وكان ذلك وفود القبائل [illegible] ترد عليكم أفواجا [illegible] في الله والمعونة
منه نستمد في تيسير أمورنا إذ هذا الأمر خلفناه بنية صالحة وآمال تعظم
[illegible] منا على الدين وأهله وإخماد النار [illegible] بجمع كلمة المسلمين
[illegible]
[illegible] الرجوع إلى الله في البدايات والعافية منه نرجو ولنذكر لك [illegible]
وقد استحسنا في النزول في الديار التي عين أهل البلد لكم لخواء النوبة وعدم
صلاحية التي [illegible] الغائب وقد استحسنا في إكرام الأكابر
[illegible] الطالب إدريس الجراري لما رأيتم فيه من مخايل الحزم والصرامة [illegible]
وقد وصلنا كتابه وهو أجوبة [illegible] وعلمنا الخير أو دليل الوقوف في
الخير فقد هو شكرنا مع الأعيان بالمدينة وقد أمرنا وصيفنا الأوذيني أن يوجه لكم ست
كسوات زيادة على الأربعين التي أخبر أنه وجهها لكم [illegible] أعيان القبائل الذين يردون عليكم
تأليفا لهم وجلبا لغيرهم وعاملوا العرب كافة بالإحسان وإن قابلوا بضده حتى يغلب
إحسانكم [illegible] والخيل المهدات ها نحن أمرنا خالنا الطالب إدريس أن يكون معه
والله يرفقكم والسلام في جمادى الثانية عام 1246

وقد وصلنا كتابه، وها جوابه يصلكم، فاستوصوا به وبأمثاله خيرا. ودليل الوقوف في الخدمة، هو سكناه مع الأعيان بالمدينة. وقد أمرنا وصيفنا الأوذيني أن يوجه لكم ستين كسوة، زيادة على الأربعين ألتي أخبر أنه وجهها، لتكرموا بها أعيان القبائل الذين يردون عليكم، تأليفا لهم وجلبا لغيرهم. وعاملوا الفرغلية بالإحسان، وأن قابلوا بضده، حتى يغلب إحسانكم وتجاوزكم على شؤونهم. والخيل المهدات، ها نحن أمرنا خالنا الطالب إدريس بما يكون عنها. والله يوفقكم، والسلام.

في 7 جمادى الثانية عام 1246 (23 نوفمبر 1830)

5

(04 ديسمبر 1830)

من السلطان إلى مولاي علي الجراري

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولد عمنا الأرضى مولاي علي، وخالنا الأنجد الطالب إدريس الجراري أعانكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابكم وصحبته بيعة أهل المعسكر التي قدم بها وفدهم عليكم وعلمنا ما فعلتم معهم من الإحسان، وتوجيهكم معهم الطالب أحمد أمجوط[1] في عشرة من الخيل، ومعه المرابط السيد محمد بن امبارك، فالله ييسر الأمور على وفق رضاه. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت،

1. في الحقيقة كان مكلفا بتمثيل السلطة الشريفة في معسكر.

وإليه أنيب. وما أخبر به المرابط الحاج محيي الدين[1] من أن القبائل من ثغر الجزائر إلى بلده[2] كلها متشوفة لجانبنا، ومنتظرة لأمرنا، فنحن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله. وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه[3]. فلا بد كاتبوا قبائل تلك النواحي، وحرضوهم على الجهاد، والمضايقة للعدو الكافر، وعدم إمداده[4] والمبايعة معه، وذكروهم بالله، وبما ورد في فضل الجهاد والرباط[5] في سبيل الله، وبما ورد في ذم موالات الكفرة، وإمدادهم، ليقوموا على ساق الجد في ذلك، فإن الذكرى تنفع المؤمنين. وقد وصل رسم بيعة المزاري بن اسماعيل وعمه الحاج ابن حضري[6] أصلحهما الله، ووفقهما، ووصل كتاب الباي ومن معه[7]. وقد بينا لكم النسق الذي تخاطبونه عليه. ولا يخفاكم ما تجيبونه به، فإنه يرى الشاهد ما لا يراه الغائب. وواصل أمره، ومداره، أن تقولوا له: إن أردت أن يبقى لك عزك، وتصلح أمر دينك ودنياك، فأقدم علينا في أمان الله ورسوله، لنوجهك لفلان، لتتقلب في أساليب النعمة تحت ظلال عزه فداك، وأن أردت البقاء على ما أنت ساع فيه، فقد خسرت الدنيا والآخرة. وأما الحاج العربي[8] فإن ظهر لكم في قدومه عليه وعلى من معه الغش والتدليس، فلا توجهوه لهم، فأنتم أعرف بما تأتون، وما تذرون لهم.

---

1. أب الأمير عبد القادر.
2. معسكر (MASCARA)
3. نص شرعي.
4. يتعلق الأمر بمساعدة بالرجال والمؤونة.
5. أن يرهن نفسه للدفاع عن الشريعة ضد الكفار.
6. المزاري وعمه كانا رئيسي قبائل الدواير جوار وهران.
7. يتعلق الأمر بباي وهران المسمى خشان وجنوده من الأتراك.
8. الحاج العربي رئيس زاوية درقاوة، كان لها تأثير كبير في المغرب والجزائر على السكان من الناحية السياسية.

5



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[illegible] الحاضر [illegible] وكافة القبائل [illegible] سلام
عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابكم [illegible]
[illegible] وعلمنا ما تعلقتم به من [illegible] وتوجيهكم [illegible]
[illegible] بالله [illegible]
[illegible] وما التوفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب [illegible]
[illegible] ثغر الجزائر [illegible]
[illegible]
[illegible] بالله [illegible]
[illegible] في سبيل الله [illegible]
[illegible] إسماعيل [illegible] الحاج
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله ورسوله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

إن طلبه للمجيء في الأمان هو ومن معه فوجهوه له. حاصله أنتم أعرف. فما كان صلاحا ارتكبوه، وما لا فلا. والذي نأمركم به في شأنه، وعليه العمل، هو أن لا توجهوا سيدي الحاج العربي لهم، ولو للاتيان بالباي. وأن طلب ومن معه الاتيان في الأمان، فوجهوا له بعض اشياخ العرب الذين يثق بالاتيان معهم، مع اثنين من المخازنية أو ثلاثة. ولا تكثروا من المخازنية، فإن الترك أهل غدر ومكر وحيل، وربما إن حصلت شرذمة عنده من المخازنية يحصلها. السيد الحاج العربي لا بد من أن يذهب ليزوره الناس فقولوا له إن أراد الزيارة هو (الباي) ومن معه يأتي إليه، وقد كنا قدمنا لكم أن تعطوا بعض خيله هدية، وتخليف خيل المخازنية أن ضاع شيء لهم أو لأعضاء الوفد إن وجدوا، والحالة أنه كما اقترحتم فالأولوية تعطى للمخازنية قبل كل شيء، مع التعجيل بذلك وبكيفية لائقة.

لقد صدر أمر للوديني ليضع رهن إشارتكم ملابس مخصصة لـ 300 رجل، كانت تنقصهم، ليتم تسليمها لهم. أما المشاة المائة فلكل واحد منهم قشابة وحلالة، ويبقى تزويدهم بكسوة خارجية، وسراويل قصيرة، وحزام، وعمامة. أما الضباط وضباط الصف، ومعهم 40 من مساعدي عبيد البخاري (الحرس الأسود) فلديهم لباسهم. ستتوصلون باللباس المخصص للآخرين، إن شاء الله تعالى، وهو ولي توفيقكم والسلام.

في 18 جمادى الثانية عام 1246 (04 ديسمبر 1830)

6

(04 ديسمبر 1830)

من السلطان إلى مولاي علي والجراري

الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ولد عمنا الأبر الأرضى مولاي علي، وخالنا الأرشد الطالب إدريس بن حمان الجراري، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد : فقد وصلنا كتابكم مخبرين بانتهاز الفرصة في الفرغليين، والقبض على جماعة من أعيانهم، حيث تحققتم بانطوائهم على الغدر، ونصبهم لحبالات النكر والمكر، ومقابلتهم الإحسان بالإساءة، والبشاشة بالبذاءة، فقد وقع العقاب في محله، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله. وإنا نأمركم بالغض عنهم، ولين الجانب ما وجدتم لذلك سبيلا. أما حيث لم ينفع ذلك وبدأتموهم، فلا ينبغي لكم الرجوع عن مقاومتهم، حتى لا يبقى منهم عرق ينبض بفساد، ولا كف يشير لعناد، فوجهوا من قبضتهم منهم لحضرتنا العالية بالله في أكبالهم، واجتهدوا في مقاومة من بقي منهم، حتى تتمكنوا منهم على وجه القهرية، والغلبة، فإنهم لا يسوغ معهم الآن صلح، ولا مسالمة، ما داموا على تجبرهم وعنادهم. وها مددنا وارد عليكم في أثره شيئا فشيئا إن شاء الله تعالى. وقد وجهنا مائة من فرسان عبيد سيدي البخاري، مع مائة فارس من أخوالنا الأودادية، ومائة راجل، لتركب ستون منها على الستين من الخيل التي بأيديكم، والباقي ينتظر فضل الله. وأمرنا وصيفنا الأوديي أن يوجه صحبتهم ستين سرجا، ويوجه بعدهم كمال المائة. وكتبنا على محلة أخرى من وصفاننا آل الصويرة ومراكش وغيرهم، وسترد عليكم في أثر هذه.

6

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ولد عمنا الأبر الأرضى مولاي علي وخدامنا الأوداية والكاتب إدريس بن حمان الجراري
وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد وصلنا
كتابكم مخبرين بما شاهدتم من [illegible] والقبض على جماعة من أعيانهم
حيث تحققتم بانطوائهم على الغدر ونصبهم حبائل النكث والمكر ومقابلتهم
الإحسان بالإساءة والبشاشة [illegible] فبعد وقع العقاب في محله وكان يجب
[illegible] وحضنا أمركم بالعفو عنهم [illegible] ما وجدتم لذلك
سبيلا أما حيث لم يتبع ذلك [illegible] فلا ينبغي لكم التراجع عن [illegible]
حتى [illegible] يشير لعناد [illegible] منهم بحضرتنا
العالية بالله [illegible] من بقي منهم حتى [illegible] منهم على وجه
العقوبة والغلظة [illegible] ولا مساهلة [illegible]
[illegible] وارد عليكم [illegible] تعالى [illegible]
[illegible] مع مائة [illegible] من خدامنا الأوداية ومائة راجل [illegible]
على [illegible] من الخيل التي بأيديكم [illegible] وأمرنا [illegible] الأوداية
[illegible] وكتبنا على [illegible] أخرى [illegible]
[illegible] وأمرنا الأوداية [illegible]
[illegible] الأضياف وسيرد عليكم ما [illegible] من الذخيرة [illegible]
[illegible] إن شاء الله [illegible] الفرغلية حتى تقبضوا
[illegible] وألزموهم ذعيرة ثقيلة [illegible]
ويتفرقون على السكنى [illegible]
[illegible] ببعض الحضر [illegible]
[illegible] في 18 جمادى الثانية عام 1246

وأمرنا الأوديني أن يوجه لكم عشرة خزائن طرنجية، بقصد الأضياف، وسيرد عليكم ما طلبتم من آلة الحرب والطبجية والكساوي والإعلام والطرارة إن شاء الله. فكونوا رجالا، ولا تقصروا في أمر الفرغلية، حتى تقبضوا ما عندهم من مال المخزن على التمام. وألزموهم ذعيرة ثقيلة، ولا تقلعوا عنهم حتى تخرجوهم من القصبة[1]، ويتفرفون على السكنى بتلمسان، وتحوزوا القصبة، فإذا حزتموها فانزلوا فيها أنتم ومن معكم من الجيش، ومن يرد عليكم بعد. واكملوا عمارتها ببعض الحضر[2]، وبعض من يصلح من القبائل. وإياكم ثم إياكم والتراخي في أمرهم. والله يعينكم والسلام.

في 18 جمادى الثانية عام 1246 (04 ديسمبر 1830)

7

(12 ديسمبر 1830)

من السلطان إلى الفرغلية

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

خدامنا الفرغلية كافة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد: فقد وصل لحضرتنا الشريفة أخوانكم المساجين، وبوصولهم سرحناهم، وأكرمناهم، رعيا لشفاعة ابن عمنا مولاي علي، وخالنا الطالب إدريس بن حمان الجراري، أصلحهما الله فيهم. فكونوا عند الظن بكم، في كل ما يأمركما به من أمور خدمتنا الشريفة. ولكم منا من الحظوة والشفوف فوق ما تظنون إن شاء الله. والسلام.

في 26 جمادى الثانية عام 1246 (12 ديسمبر 1830)

---

1. يتعلق الأمر بالمشور، الذي يوجد وسط المدينة حيث يتخندق الكراغلة لمقاومة رجال السلطان.
2. الحضر أو سكان المدينة هم قدماء التلمسانيين أعداء الكراغلة.

7

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

خدامنا الغرابة كافة وفقكم الله وسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد حضرتنا أشياخ
اخوانكم المهاجير وبلغناهم من مناهم واكرمناهم
رعيا لشفاعة ابن عمنا مولاي علي وخلفنا الطالب
ادريس بن حمان الجراري اصلحه الله فيهم فيكونوا معه
الآن بحيث كل ما يأمركم به من الأمور وهذه نيتنا الشريفة
لكم مثلا من الحكومة والتصرف فوق ما تظنون إن شاء
الله وهذا في 26 جمادى الثانية عام 1246

8

(12 ديسمبر 1830)

من السلطان إلى ابن عمه مولاي علي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ولد أعمنا الأبر الأرضى مولاي علي، أصلحك الله، وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد أخبرت بدخول

الفشل والوهن لأولائك القبائل، مع عدم ثباتهم على سبيل واحد، وخصوصا حين سمعوا نزول محلة العدو الكافر بوهران[1]. والآن بوصول كتابنا هذا إليك، وجه على أعيان القبائل كلها الذين أعطوا البيعة، والتزموا بالسمع والطاعة من المعسكر وغيره، حتى تتوافى لديك. وعين من يقوم خطيبا فيهم، مثل الفقيه ابن سعد، ويذكرهم بما يلزم من أعطى البيعة من الحقوق شرعا، ويسرد عليهم الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية المتضمنة لأمر الجهاد، والحض عليه، والوعيد على تركه. وما يلزم المنحرف عنه بجمع ذلك في ورقة كالخطبة من كتب الأحاديث، مثل الصحيحين وغيرهما. فإذا استوعب ذلك يقول أنكم رغبتم في بيعة فلان، وطلبتم نصرته وإعانته. وأنتم أمم متوافرة، وجنود متكاثرة، فإن كنتم تحافظون على شروط البيعة، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، وتقاتلون على دين النبي عليه الصلاة والسلام الذي هو دينكم، وتدافعون على احسابكم، وأولادكم، وبلادكم، لتدركوا عز الدنيا، وشرف الآخرة، فنحن من جملتكم، نقاتل في سبيل الله. فإنما أتينا ردءا لكم وإعانة. وأن كنتم لا تقاتلون على دينكم، وأولادكم، وبلادكم، وترضون بالدخول تحت كنف الكفار، وإعطاء الرتبة لهم، فمالنا ومالكم. واكتب لنا نسخة الخطبة التي تملى عليهم على الوجه الذي ذكروا، وعلى ظهرها ما أجابوا به، ليظهر لنا جدهم من عدمه، وما نعتمد عليه من جهتهم. فإن الصحابة والتابعين وعباد الله الصالحين لهم في الجهاد أخبار مسطورة، وعجائب مأثورة، وكانوا يقاتلون الكفار بالدين لا بقوة الجيوش والعساكر والجنود. والله المستعان. والسلام.

في 14 رجب الفرد الحرام عام 1246 (14 ديسمبر 1830)

---

1. احتل الجنرال كلوزل (CLAUZEL) المرسى الكبير في نوفمبر 1830، ووهران في 10 ديسمبر الملاحق.

8

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ويصلك تقييد الآيات والأحاديث المرغبة في فضل الجهاد، لتسرد عليهم. وقد كتب لنا الكراغلة كتابا يدعون أنهم مظلومون، ويطلبون الانتقال من تلك البلاد إلى المحل الذي تختاره لهم. وها نحن أجبناهم عن كتابهم أن صدقوا في قولهم إلى آخره.

9

(24 فيفري 1831)

من السلطان إلى ابن عمه مولاي علي الجراري

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولد عمنا الأبر مولاي علي، وخالنا الطالب أدريس الجراري، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد قدمنا لكم الإذن في الخروج بالمحلة المنصورة بنواحي تلمسان، والنظر في أمر تلك القبائل، فلا تغرروا وتبعدوا عن تلمسان إلا مقدار مرحلة أو مرحلتين، ولا تزيدوا مرحلة حتى تتحققوا بسلامة ما وراءها، فإن رئيس المحلة كرئيس سفينة، لا يقدمها إلا للمحل الذي يتحقق سلامتها فيه. وإياكم والتفريط في المحلة والغفلة عنها من جهة الخاصة. والحاضر بصيرة. فقد يرى ما لا يراه الشاهد[1]، حاصله إياكم والتغرير بالمحلة وبأنفسكم، فإن الأرض ليست بأرضكم، ولم تعرفوا صالحها من طالحها، ولا عدوها من صديقها. فمقامكم بتلمسان أولى، وأن ظهر لكم أن تبثوا السرايا في النواحي، كل ناحية وما يكفيها: مائتان لناحية، وثلاثمائة لناحية، والناحية التي تحتاج لزيادة زيدوها فالقواد معكم، والأعيان عندكم. ومن صلح لشيء قدموه له حتى تستبرءوا الأخبار، وتعلموا ما تقدمون عليه. ولا تخفى عليكم سيرة البايات هناك. وأنهم كانوا يسيرون ويضربون ويرجعون لمحلهم. فمهمتكم هو المقام بمحلكم، مادمتم لم تروا صلاحا. وقد أشركنا ابن عمنا مولاي عبد المالك معكم في الرأي. وجعلنا أمركم شورى بينكم. فلا تقطعوا أمرا دونه. ولا تفعلوا أمرا حتى يتفق رأيكم ورأيه عليه.

---

1. النص يشير إلى أن الشاهد يبرز خطأ الغائب.

وقد بلغنا أن بايا ورد من تونس لوهران، ومعه جيش، فلا بد أخبرونا بحاله، وحقيقة أمره، ومن انحاز إليه من تلك القبائل، ومن لم يتبعه، ولا بد. والسلام.

في 12 رمضان المعظم عام 1246 (24 فيفري 1831)

9

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[illegible]

وقد بلغنا أن بايا ورد من تونس لوهران ومعه جيش فلا بد أخبرونا بحاله وحقيقة أمره ومن انحاز إليه من تلك القبائل

ومن لم يتبعه ولا بد والسلام في 12 رمضان المعظم عام 1246

10

(08 مارس 1831)

من السلطان إلى مولاي علي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولد عمنا الأرشد مولاي علي، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعرفنا مضمنه. وأعلم أنه منذ توجهتم بالمحلة لتلك النواحي، وأفكارنا متعبة، وقلوبنا مشوشة،

وتارة يرد علينا ما يسر، وتارة يرد خلافه. وما كلفنا الله بهذا، ولا حاجة لنا بقتال المسلمين، وسفك الدماء بغير حق. فإن كان أولائك القوم عند أقوالهم ومرادهم في الخدمة والصلاح، فهم يحرصون علينا، ولا نحرص عليهم. فمن وفى بما عاهد الله عليه، فعاملنا بوجدة يتصارف معه، على وجه الطاعة والصلاح، ومن ارتد على عقبيه، فلا حاجة لنا به حتى يقف على رأيه، ويعلم عاقبة أمره. ومن وجعته الضرس يبحث عن الكلاب. والعمل على ما قدمنا لكم من جمع المتفرق من المحلة، والقدوم فورا، وجعل الأشياخ للقبائل والحواضر، وكلامهم مع عامل وجدة. وإياكم والتراخي في ذلك . والسلام.

في 24 رمضان المعظم عام 1246 (08 مارس 1831)

القسم الثاني

مع الجزء الثاني من الرسائل الشريفة، أصبحنا على بعد أيام قليلة من معركة إسلي الشهيرة، وفي هذا الإبان تغيرت الأمور تغييرا جذريا. لم يعد المخزن يحارب مع كراغلة تلمسان المعارضين ولا مع تقلبات قبائل البايلك التركي القديم. لكن الفرنسيين تقدموا إلى الحدود المغربية، وتقوم بوارجهم باستعراضات مثيرة قبالة طنجة. في الأخير أصبح الأمير عبد القادر مصدر قلق للمخزن على أراضي المغرب، واحتل الفرنسيون قصبة مغنية التي أسسوها في 4 ماي 1844.

إن كانت الحكومة المغربية ما تزال تخاطب الأمير بـ "سيدي الحاج عبد القادر"، فهو يتعامل الند للند مع السلطان في رسالة بتاريخ 1 ربيع الأول 1260 (20 أفريل 1844). زيادة على هذا فهو يطلب منه (السلطان) المساعدة، ويظهر تقديرا فائقا، وقد وضع طابعه في أعلا الرسالة، وبه توجد نجمة سليمان السداسية، ووسطه نقرأ أسماء الأمير، والرسول وخلفائه الأولين، وفي الحاشية نفس عبارة السلطان مولاي عبد الرحمن، أخذت من شعر الأمداح النبوية للبصيري[1].

1. عبد القادر استعمل بيتا واحدا من هذه العبارة.

هذه الرسالة تتعلق بأبناء عمومة الأمير وهم أبناء عمه سيدي أحمد بن أبي طالب، الذين استقروا بالمغرب تحت حماية السلطان ويعدون أنفسهم من بين خدامه الأوفياء. كما أن هذه الرسالة تطلب من السلطان إحاطتهم بكل عناية[1]، في رسالة 5 أوت 1844 كتب الأمير سيدي محمد إلى أبيه السلطان يخبره أن قبائل سهل أنكاد عادت إلى الهدوء، بعد الاضطرابات التي أثارها بلكناوي[2]، وأعلنوا طاعتهم بعيون سيدي ملوك، وقدموا هدايا تم قبولها، ونفس الشيء أقدم عليه الكرارمة أخوال صاحب الجلالة الذين تقدموا في نفس الظروف بمحطة واد زا.

الجميع على أتم الاستعداد لمهاجمة الفرنسيين وإخراجهم من مغنية. وحدات القبائل المقاتلة ضاعفت عدد الفرق الكثيرة التابعة لسيدي محمد، والأمر يتطلب إبعاد الأمير عبد القادر، لأن حضوره يتنافى مع المعاهدات السابقة التي تقدم دوافع ثابتة لفرنسا، رغم هذا فإن اسمه دائما هو "سيدي عبد القادر" لأنه لم يعد بعد العدو اللدود "الفتان"، والذي سيصبحه قريبا في نظر المخزن. إن الشاغل الكبير الآن هو موقع مغنية الذي أقامه الفرنسيون والذي سيؤثر لا محالة على قبائل ملوية، إذ يرومون استمالة هذه القبائل إلى جانبهم، وإلحاقهم بالجزائر. في هذه الظروف يلجأ ابن السلطان إلى مهارة الطالب حميدة

1. أنظر الرسالة الملحقة رقم 11.

2. يتعلق الأمر باللقاء بين الجنرال بيدو (Bedeau) وقائد وجدة بلكناوي الذي جرى في منتصف الطريق بين هذه المدينة ومغنية، وخلاله لم يستطع القواد المغاربة منع قوادهم من مهاجمة الفرنسيين، والذين ألحقوا بهم هزيمة نكراء. وقد لاحقهم المرشال بيجو Bugeaud ودخل وجدة يوم 19 ماي 1814 التي تم إخلاؤها. أنظر ذكريات ضابط بالقيادة العليا للجنرال دومارتيمبري De Martimprey، باريس. كانتان/ 1866.

الدبلوماسية، ومعه "الشيخ حمدون" ليضمن عدم إبداء الكافر (فرنسا) لأي اعتراض يخص موضوع الأمير. ويضيف ابن السلطان "لنا اليقين التام أن الكافر لن يقبل فقط بإبعاد عبد القادر، ولا ببعض المبادرات التي تتخذ ضده، لأن النصارى مصممون على نية واضحة تتجلى في ملاحقته إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا، رغم ضعفهم بالمقارنة مع قوات المسلمين المجتمعة هنا.

ومن هنا نفهم أن الأمير أصبح يشكل حجر عثرة للمخزن الذي يتوق إلى حسم الأمر لصالحه على الحدود التي يتواجد بها، دون أن يتعامل معه كعدو.

ومن جهة أخرى تلاحظ الثقة التامة التي يضعها سيدي محمد في جمهرة رجال القبيلة المحيطين به.

طالب حميدة فرنسيي مغنية بمغادرة هذا المركز. وأبدوا رفضهم. لكن ابن السلطان أصر على ضرورة طردهم لأن استمرار وجودهم سيدفع بالقبائل إلى الفوضى والتمرد. وأعاد التأكيد على أن يتم التنصيص في معاهدة السلام المزمع إبرامها معهم على إخلاء مغنية، وإلا فإن ضعاف النفوس لن يكفوا عن إبداء إعجابهم بفرنسا.

وقد قررت الوحدات المقاتلة للقبائل المجتمعة الهجوم عليهم، وحرمانهم من الماء، ومحاصرتهم إلى حين إعراجهم من تلقاء أنفسهم على مغادرة الموقع، ويجب استغلال ظروف تجمع هذه القوات واستعدادها. وإذا تفرقت، سيفرض العدو وجوده وسلطته على البلاد والعباد كما يحلو له، وسيحقق مكاسب لم تتسن له في جهة أخرى في وقت ما. وستصبح مجهوداتنا السابقة بدون طائل.[1]

1. أنظر النص الملحق (رسالة رقم 12).

هذه الرسالة باستعجاليتها تؤشر بقوة على خطورة الوضع، وتشير إلى رجاحة العقل التي أكدت عليها بالتمام نتائج معركة إسلي. إن الكارثة كان سببها هشاشة العديد من تجمعات مقاتلي القبائل التي استطاعت كسب ثقة سيدي محمد. وهنا يجب التذكير برد الجنرال "بيجو"، (Bugeaud)، على من أخبره بأهمية الالتحاق المتواصل لمقاتلي القبائل بجيش السلطان: "كلما كثرت تجمعاتهم إلا وحققت عليهم انتصارا في أقرب وقت"[1].

في 8 أوت 1844 كتب القائد أعشاش إلى السلطان يقول إن صاحب الجلالة لم تخف عنه العمليات الأخيرة للبوارج الفرنسية التي قصفت طنجة يوم20 رجب 1260 (3 أوت 1844)، وخربت جزء من المدينة[2]. وأخبره أنه في مساء الخميس 22 رجب 1260 (7 أوت 1844) غادرت كل هذه البوارج النصرانية مياه طنجة متجهة إلى المحيط. وعلمنا أنها تقصد العرائش والرباط والصويرة لتعود بعدئذ إلى تطوان. وفي كل هذه الموانئ تنوي تكرار ما قامت به في طنجة. ويضيف أنه من خلال الأخبار التي وصلته، فليس هناك ما يدعو حاليا إلى التخوف من قيام الفرنسيين بإنزال، لأن هدفهم الوحيد هو قصف الموانئ[3].

---

1. هذه هي العبارات التي استعملها بيجو "Bugeaud" لكن المعنى الذي عبر عنه لم نعثر على نصه الأصلي.
2. هذا القصف كان يوم 6 أوت 1844، من الثامنة صباحا إلى الحادية عشرة.
3. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 13، يوم 11 أوت، كان الأسطول جوار الصويرة، وفي يوم 15 على الساعة الثالثة بعد الزوال، هاجم المدفعية المغربية. الأمير توصل بأمر احتلال الصويرة، في الغد، في انتظار الترضيات المطلوبة من السلطان.
أنظر العالم المصور، إمبراطورية المغرب، ف.هوفر Ferdinand Hoefer باريز، بيرمانن ديدو ص : 381-382.

وخلاف هذه التكهنات عرفنا أن الأمير دوجوانفيل « De Joinville » قصف الصويرة، وأنزل بها بعض القوات في انتظار التعويضات المفروضة على السلطان في مؤتمر وجدة بخصوص سلوك الجيوش المغربية، وكذا الاضطرابات الناجمة عن وجود عبد القادر بالمنطقة.

أثار قصف طنجة هلعا كبيرا، وتخوفا من الإنزال، ولهذا هرع مولاي سليمان ابن السلطان، على عجل إليها على رأس جيش. وهذا الأخير هو من أعطى معلومات إضافية في رسالة مؤرخة في 27 رجب 1260 (12 أوت 1844) حول الخسائر التي خلفها القصف، وقدم أرقاما عن عدد القذائف التي سقطت على المدينة. وقدم توضيحا عن الإجراءات المتخذة للدفاع عنها. كما قدم تقريرا عن الرسالة الملكية (السلطانية) التي قرأها على الأعيان، مع تشجيعهم وتهنئتهم، وتذكيرهم بالثواب الذي يخص به الله تعالى المجاهدين (المدافعين عن العقيدة)."[1]

وأثنى على القائد عشعاش، وأعلن عن وصول جاسوس، بتاريخ 11 أوت ، المكلف بأعمال السلطان في جبل طارق، الذي سيعود في الحين إلى مقر عمله، ثم توصل أخيرا برسالة من السيد بوسلهام[2] يخبر فيها بوجوده في أحد الغربية[3]، وسيصل قريبا إلى طنجة.

توقفت مراسلاتنا منذ الأحداث التي أدت إلى معركة إسلي، إلى متم 1 شوال 1260 (14 أكتوبر 1844)، حيث أشارت رسالة قائد

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 14، ص 107.
2. يتعلق الأمر بسيدي بوسلهام على ازلوط عامل طنجة، العرائش، القصر، وجميع القبائل البربرية التابعة لهذه المدن، وكان قد مثل السلطان في طنجة لدى الدول الكبرى، وهو من وقع معاهدة طنجة، بعد معركة إسلي في 10 سبتمبر 1844 أنظر مجلة العالم الإسلامي 1908 ج V ، ص: 60، مقال: إ.ميشوبيلير (E.michaux-Bellaire) :" دار وزان".
3. سوق أحد الغربية، شرق أصيلا.

وجدة، سيدي بومدين بن الهاشمي، أرسلت إلى كاتب السلطان سيدي محمد بن إدريس، إلى مراسلة بين الشخصين لم يعلم بها قائد وجدة سيدي حميدة[1].

هذه الرسالة تعلن أن سكان ناحية وجدة ، أنكاد، بني إيزناسن، أولاد النهار والآخرين جميعا الذين هم في حماية السلطان، يعيشون في السلم والازدهار، يؤدون جميعا ضرائبهم، وأن الطرقات مؤمنة. ويضيف بومدين أن السيد حميدة التقى على أرض زكارة مع السيد حمزة بن سيدي الشيخ[2] والذي رافقته قافلة كبيرة، لكنه يجهل ما جرى خلال هذا اللقاء. وقد تأسف بعبارات تنم عن مرارة كبيرة، وأسى لا مثيل له عن المتاجرة مع المسيحيين، التي تحرمها الشريعة، التي عمت كل البلاد وسوق أولاد عطية، على الخصوص، القريب من الميناء الفرنسي بالغزوات[3]، الذي تنشط فيه التجارة، ويرتاده الأوداية، ورجال الريف، وكرت، والأحلاف، وبني إيزناسن وأنكاد وغيرهم. ويضيف أن العاهل عاجز عن معالجة الوضع لشموليته حتى تغلب الفتق عن الرتق. وانتهى إلى القول بأن الفرنسيين أقاموا بواد كيس يوم 29 رمضان 1260 (12 أكتوبر 1844)[4].

ومن خلال رسالة السلطان بتاريخ 20 شوال 1260 (2 نوفمبر 1844) أطلعنا على صدى حصار الصويرة القريب، من لدن الأمير

---

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 15، ص 109.
2. من عائلة مرابطي أولاد سيدي الشيخ، وزاويتهم تقع في الجنوب الغربي من البيض في بلاد وهران.
3. يتعلق الأمر بالغزوات التي أسس في تلك الفترة ومن هنا يسافر بيجو (Bugeaud) إلى الجزائر بعد معركة إسلي، ونجد هنا الاسم الأهلي للمكان لكتابته الإملائية: غزوانة.
4. الجنرال دولامورسيير (De Lamoriciere) أقام عند مصب واد كيس، وأعلنت له عدة قبائل الناحية خضوعها.

جوانبيل (Joinville) الذي رسا في هذا الميناء بأسطوله يوم 11 أوت. أخبرتنا الرسالة السلطانية الموجهة إلى احاحا أن هؤلاء البربر، ومعهم آخرين، استغلوا الفرصة للتسلل إلى المدينة للقيام بنهب ممتلكات إخوانهم المسلمين دون أن يرف لهم جفن. ولم يجد السلطان من عذر لهم إلا أن الأمر كان مدعاة لمنع الكفار من الاستيلاء عليها، والاستفادة منها، والاستقواء بها على الإسلام. وأعذرهم بناء على النية هذه. وبما أن الله ابعد الكفار، لم يعد هناك ما يسمح للمسلمين بالاحتفاظ بممتلكات إخوانهم. وبإلحاح شديد وتأنيب، أعلن لهم عن وصول الأمين الحاج العربي الطريس المكلف بالسهر على إعادة الممتلكات إلى أصحابها، أو تعويضهم بقيمتها.

هكذا نفهم بوضوح هشاشة نفوذ السلطان في أقاصي الإمبراطورية، ونلمس الوسائل الوحيدة التي يتوفر عليها، خارج قوة السلاح، ليتسنى له فرض قليل من الطاعة والاحترام، وغالبا ما يتم اللجوء إلى الحلم والقوانين الشرعية، لأنها السند الوحيد الذي تعتمده السلطة تجاه السكان البعيدين. وبهذا نفهم العناية التي يوليها المخزن للتمسك بالقوانين الشرعية.

بعد معركة إسلي تم توقيع معاهدة السلم بطنجة يوم 10 سبتمبر 1844، لكن كان المطلوب هو وضع الحدود المغربية الجزائرية. هذه المهمة الصعبة جدا، تم تفويضها للجنرال دولاري (De Larüe) كمندوب للحكومة، يساعده الجنرال مارتمبري (Martimprey) والمترجم الرئيس ليون روش[1] (Leon Roches).

---

1. هو مؤلف كتاب: ثلاثون سنة عرض الإسلام: ليون روش/ عين في 10 فبراير 1846 كاتب مفوضية بطنجة، حيث أصبح صهر م.دوشصطو (M.De Chasteau)، رئيس بعثة فرنسا بطنجة.(انظر حول L. Roches كتاب Jacques Caillé.. بعثة روش إلى الرباط 1845م، منشورات معهد الدراسات العليا المغربية الجزء XLIII الدار البيضاء 1947 (المترجمان).

من الجانب المغربي كان السيد حميدة قائد وجدة، ومعه مبعوث السلطان الذي كان يسميه الجنرال ماتمبري سي السلاوي[1]، ومن خلال مراسلتنا فاسمه هو: السيد أحمد الخضير السلاوي. لم تمر الأحداث دون بعض العراقيل، حسب ما أشارت إليه الرسالة المؤرخة في 13 رجب الثاني 1261 (21 أفريل 1845) التي أرسلت إلى كاتب السلطان السيد محمد إدريس من لدن السيد بوسلهام بن علي، قائد العرائش، الذي كان من المنتظر أن يكون بدون شك، في وجدة. في حين كان السيد حميدة في مباحثات بمغنية مع الجنرال دولاري (De Larüe)[2].

ويتضح من هذه الرسالة أن مشروع دولاري المتعلق بتعيين الحدود، بعد دراسته من لدن المخزن، أعاده كاتب السلطان مقرونا بالرفض إلى الجنرال الفرنسي على يد السيد بوسلهام. في هامش الرسالة الموجهة شخصيا إلى السيد بوسلهام، أشار الكاتب أن صاحب الجلالة يرفض مشروع السيد حميدة الخاص بتعيين الحدود. لكن الرسالة الموجهة إلى الجنرال دولاري كانت مختومة، ولم يرد السيد حميدة إرسالها، دون معرفة محتواها، ليتم الإطلاع على النقط الرئيسة لهذا الرد، للاستئناس بها في علاقاته مع مندوب الحكومة الفرنسية. ولم يتوان السيد حميدة في إعادة الرسالة الموجهة للجنرال دولاري، إلى كاتب السلطان، يرجو منه تغيير تاريخها، مع تمكينه بنسخة منها طبق الأصل. كما طلب منه أن يسلك نفس المنوال عندما يتعلق الأمر بالمراسلات الموجهة إلى الفرنسيين بواسطته مستقبلا.

1. نفس المصدر، ص 43.
2. أنظر النص الملحق الرسالة رقم 16، ص 110.

الأسباب التي يعتمدها المخزن لرفضه لمقترح تعيين الحدود هي: أعيان القبائل المعنية لم يحضروا المؤتمر، والملك لم يستشر في تفاصيل تعيين الحدود. كاتب الرسالة أوضح أنه نصح الفرنسيين بتعيين الحدود بشكل عام. والتي سيسهل التعرف إليها باستحضار حدود الأتراك. ولم يفرض بناء مشيدا ولا أي شيء يشير إليها على الأرض. وكان هذا الأمر الطريقة المفضلة على غيرها. لكن، أضاف أنه إذا كانت الضرورة تستدعي تعيين الحدود المقترحة طبقا للمقتضيات المسجلة في المحضر، فلا مناص من مناقشة كل شيء مع ممثلي القبائل. "وللسلطان أن يبدي رأيه في كل نقطة على حدة، قبل الاتفاق النهائي. هذا الكاتب كان مطلعا على النص الأولي للوثيقة، لأنه يقول في رسالته بعد الذي تقدم "تعيين الحدود هذا لن تكون له قائمة إلا بعد اجتيازه لعراقيل كبيرة - والأمور بيد الله - وهناك شرط يتصل بالعلاقات التجارية، والذي يتطلب تبادل وجهات النظر"[1]، وما يفسر بوضوح هذه المصاعب، نجده في مذكرات الجنرال مارتمبري، مساعد الجنرال "دولاري"، الذي كلف بجمع المعلومات حول الحدود، كما كانت أيام الأتراك، والذي رسم الخريطة المعتمدة في محضر تعيين الحدود. في الواقع قال الجنرال مارتمبري: "لاستبعاد العراقيل التي يمكن أن تتمخض عن تدخل عبد القادر والقبائل المجاورة، إذا تم الطواف على الحدود، يجب عقد لقاء رسمي تحت حماية مدافع حصن مغنية، حيث ستكون في منأى عن كل سباب أو عداوة غير متوقعة"[2].

---

1. المعاهدة النهائية الموقعة في شهر أوت وتحمل تاريخ 18 مارس لا تشير إلى أي بند تجاري، أما التي وقعت في هذا التاريخ في للا مغنية فقا وضـ ـــ موضـ التنفيذ معاهدة 1767 القديمة والتي لا محل لها من الإعراب تشمل بعض الجوانب المتعلقة بالعلاقات التجارية. تحرير النص الأصلي لحقه تغيير بعد احتجاج السلطان الذي رفض شكله، أنظر ب.P.AZAN، حكايات إفريقيا: سيدي إبراهيم، هنري شارل لابوزيل (Henri Charles Lavauzelle)، باريس، 1907، ص 37 ملحوظة 6.
2. عبارة وردت في ص: 213-214.

وهنا برزت المشاكل والأخطار التي تطوق لجنة الجنرال دولاري. وتم استيعاب الفائدة التي سيجنيها المخزن من هذا الوضع. ومنذئذ بدأ التساؤل حول نقائص معاهدة 1845، بعد إبعاد مسؤوليتها عن الجنرال ومساعديه[1].

في حين كان المغرب لم ينته بعد من تسوية الأوضاع مع الفرنسيين، أصبح مطالبا بمواجهة مطالب رعاياه في جنوب الإمبراطورية. وفي نفس الوقت كان رعايا المنطقة الشرقية يفرضون بتقلباتهم يقظة مستمرة. في نفس الوقت كان عبد القادر يثير مخاوف تزداد مبرراتها. إن الرسالة السلطانية ليوم 16 محرم 1262 (14 جانفي 1846)، تؤكد المصاعب التي يصادفها الحكم المركزي لفرض وجوده على ساكنة العمالات النائية، وإيجاد التدابير الواجب اتخاذها، والإجراءات التي يواجه بها المطالب التي يعبر عنها الرأي العام لتجنب الفوضى في مجال ما، وإبقاء السيطرة على مجال آخر. ويجب تعيين عامل على الشياظمة من اختيارهم وليس العكس[2]. الجزء الثاني من هذه الرسالة، يطلعنا على التخوفات المبررة التي توحيها للسلطان مكائد عبد القادر الذي أبعده، توسع القوة الفرنسية، إلى المغرب حيث لا يتورع عن استعمال كل دبلوماسيته لإعادة بناء قوته السياسية. كتب السلطان وهو يشير إلى اضطرابات الشياظمة: "قضية عبد القادر أكثر خطورة، وتتطلب تدخلا سريعا لأن كراهيته للحكومة ثابتة، ونشاطه يزاول بكيفية لا يمكن معها السكوت على أفعاله التي أصبح مفعولها يؤثر على قبائل ما وراء تازة، لدى الكرامة وما يليهم. يغري الرجال باستغلال

1. أنظر النص الملحق الرسالة رقم 16، ص 110.
2. أنظر النص الملحق الرسالة رقم 17، ص 111.

عواطفهم، ويوقظ لديهم الطمع. يستحوذ على أبناء الشعب باستعمال غطاء الدين لإثارة الشهوات المادية الصرفة، ثم يدعوهم إلى الجهاد".

أخبر السلطان أن قاضي وجدة وآخرين جاءوا يكشفون عن عيوبه الظاهرة والباطنة، وكذلك الفتن التي يثيرها. وقد نشر بلاغا بين القبائل قصد الدعاية لنفسه، بقدر ما يعرف نجاح مغرياته وسذاجة الشعب. كتب مرارا إلى رجال الريف[1] وجبالة[2] (الجبل). وقد وصلت رسائله إلى أولاد مولاي عبد السلام[3] يستثمر إنجازاته الماضية، لكنه لم يستطع انتزاع أي مركز من يد المسيحيين ـ دون الحديث عن الأراضي التي انتزعت مع الفرنسيين. ولم يعد تحت إمرته إلا فرق من البلهاء التي ملأ بها البلاد بسهولها وجبالها. لمدة إحدى عشر يوما هرب أمام جنرال، ولم يكن أمامه من وسيلة للنجاة إلا التوغل في الصحراء.

وقد علمنا أنه يستعد للالتحاق بدائرته المؤتمن عليها من قبل في المغرب، لربط الاتصال بمناصريه من أولاد ستوت، وباقي القبائل من جماعة بن دحمان، التي يؤيدها مطالسة، وبنو بو يحيي، ومتمردو بني إيزناسن وأنكاد[4]. هكذا كانت الحالة في جانفي 1846. وبالنسبة للحكومة المغربية لم تتحسن منذ معاهدة 1845. ويمكن القول أن حضور الأمير والمشاريع الطموحة التي لا يخفيها أبدا، عقدوها بصفة خاصة.

1. الريف يقع بين بلاد غمارة غربا وواد كرت شرقا.
2. الجبل أو بلاد جبالة يمتد إلى طنجة جنوب غرب الشاون.
3. مولاي عبد السلام بن مشيش توجد زاويته بجبل العلم عند بني عروس إلى الجنوب الغربي لتطوان.
4. في الشهور الأخيرة من سنة 1843، أقام عبد القادر ودائرته غير بعيد من وجدة في واد ...اجرة يربط بين التل والهضاب العليا بواسطة فج منخفض جدا.

بتاريخ 19 ماي 1846، كتب مولاي عبد الرحمان إلى ابنه، سيدي محمد، وأمره بإيجاد رجل له وزن، ليتولى مكان المبتز علي بن العربي السنوسي، لأن "وجدة أصبحت من بين المدن الحدودية الهامة، بدون شك، نظرا للتجاور من الفرنسيين. وقد دعا مولاي عبد الرحمان ابنه للبحث عن الرجل المناسب بكل عناية، كما سيفعل هو بدوره. والحالة هذه، فالسلطان يتأسى لقلة الرجال الذين يجمعون بين الصدق والوفاء والإيمان لشغل منصب من هذا المستوى. وقد أشار ما تبقى من الرسالة إلى تغيير في قيادة القبائل، والسياسة الواجب اتباعها إزاءها. ويبدو أن الإقليم شهد اضطرابات عميقة نتيجة أحداث السنوات الأخيرة. والضرورة تستدعي إبعاد بعض الرؤساء عن التسيير، وتعويضهم بعناصر ماهرة التي يمكن الاعتماد عليها لاستعادة الهدوء والطاعة.

إن مجاورة الفرنسيين تتطلب سياسة جديدة، ويقظة دائمة، أكثر دقة مما كان عليه الأمر في عهد الأتراك.

وهذا ما يتضح من رسالة أخرى للسلطان بعثها لابنه في تاريخ 11 جمادى 1262 (6 جوان 1846)، تنتهي بإشارات توحي بالحيرة التي يشعر بها المخزن إزاء المستجدات. إن ما يؤرق السلطان هو ما يحققه الفرنسيون من مكاسب، ووجود الأمير عبد القادر، وكذلك تقلب القبائل الذي لا يفتر، وعنادها الذي لا يتوقف، ولا مبالاتها إزاء السلطة الروحية "أمير المؤمنين". إن رسالة مولاي عبد الرحمن تلوح منها المرارة والحقد اللذان لا يخفيهما، وتؤكدها المجهودات المبذولة منذ ستة عشر عاما دون طائل، ويستحيل عدم الاعتراف بنيته الصادقة، وشجاعته، اللتين يعتمدهما في جميع الواجهات للقيام بجميع مهامه كسلطان للمغرب.

استتب السلام مع فرنسيي الجزائر، وعينت الحدود الجزائرية المغربية إلى حدٍّ ما، واستؤنفت العلاقات التجارية بين البلدين. وكانت هنالك العديد من الشؤون لا تثير أي مشكل مع الأتراك المسلمين، أصبحت مبعث قلاقل حادة للجوار مع المسيحيين. بعد تعليمات حول تمرد قبيلة الدخيسة ضد رئيسين أخلا بالنظام وقيادة الكرارمة التي تتصرف كصاحبة حق. قال السلطان في رسالته ليوم 8 شعبان 1262 (1 أوت 1846) : "تتحدثون عن المحادثات التي أجريت بين ممثلي السلطات الفرنسية بتلمسان والطالب حمو الروداني، حول موضوع السود الذين هربوا إلى القطر الجزائري. فإلغاء العبودية الذي أقره الفرنسيون حديثا باتفاق مع الأمة الإنجليزية هو أمر محمود ويجازي الله عليه، وقد جعلوا منه مبعث انتصار. وهكذا قرروا، اعتمادا على نظرة خاطئة وحكم ضعيف، فاستمالوا مسلمين بالذي صنعوه، فاقتفوا أثرهم. وقد ظهر تيار السود القادم من أثيوبيا ومن مصر عن طريق البحر. يقول السلطان للروداني، استحضر ما هو معمول به منذ القدم، وأنت تطالب بإرجاع هؤلاء العبيد، بالاعتماد على الأدلة الآتية: العبودية مطابقة للقوانين الشرعية التي لا يحق لكم التدخل فيها ما دمنا لا نتدخل في شؤونكم الدينية. وفي هذه الحالة لا يمكن الرجوع إلى معاهدة أجريت في هذا المجال، ولا إلى قانون. وهذا المستجد الذي توافقتم عليه لا شأن لنا به. يجب بذل مجهودات كبيرة لتجنب هذه الظروف الحرجة التي ستسيء إلى المسلمين، وإلى ما يخص عبيدهم".

عبودية السود كانت هامة من الناحية الاجتماعية، لكن من الناحية الاقتصادية كانت المبادلات التجارية مع دولة الجوار تطرح للمخزن مشكلا آخر، حيث يتحدث في نفس الرسالة عن المواضيع التالية:

"تقولون لنا حول موضوع المفاوضين الذين يرافقون سلعهم إلى بلاد المسيحيين، أنه إذا منعناهم، سيسافرون إليها مع تجنب وجدة، الأمر الذي ستتمخض عنه خسارة كبيرة للحكومة في الحقوق المستخلصة، وقد كانت هناك محاولة، ذات مرة، فلم يتم معها تحصيل إلا 22 مثقالا[1]، والحمولة قدرت بـ 10 ريالات[2] كحقوق الجمارك. وهكذا، فالتجار المغاربة لا يتوقفون عن هذا السلوك إلا باللجوء إلى الضغط عليهم ومعاقبة المخالفين، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يملكون أو الحكم عليهم بالسجن".

وأضاف السلطان أنه يسمح لابنه سيدي محمد باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة وأعطاه حق التصرف الكامل، مع التأكيد عليه، لفرض حقوق الخروج (التصدير) المرتفعة على السلع، ويتصرف بكيفية لا تحرم المخزن من مبالغ كبيرة تعود إليه

وفي الختام تحدث السلطان عن وصول السيد محمد البركاني، المساعد القديم للأمير عبد القادر، الذي جاء إلى فاس للإقامة بها، ووافق ابنه الذي تصرف بلباقة، حين وضع رهن إشارته مترلا متواضعا[3]، وأكرمه إكراما يليق به. لكن البركاني طلب معاملته بنفس المعاملة التي حظي بها الميلود بن عراش مساعد آخر لعبد القادر. وهنا أجيب بأن بن عراش جاء إلى مراكش وقدم نفسه للسلطان، فعامله جلالته بما رآه مناسبا.

---

1. 14 مثقال تساوي دورو حسني.
2. الريال أو دورو حسني عملة فضية، مبادلته تتغير، بقيمة تتراوح بين 3 و 4 فرنكات تقريبا.
3. المترل المتواضع أو مترل قروي عبارة عن مسكن بسيط لا يتوفر على بعض شروط الرفاهية التي تعود إلى مترل موجود من الحاضرة.

نتابع منذ الآن تنظيم إقليم وجدة، وإرساء سياسة جديدة في الحدود الشرقية للإمبراطورية الشريفة. وفي هذا الجانب، فإن رسالة السلطان ليوم 15 شعبان 1262 (8 أوت 1846) تشمل توضيحات دقيقة لها مزايا، ويظهر أنها لم تفقد أهميتها في الظروف الراهنة[1] حول عقلية الساكنة والترتيبات المتخذة من لدن الحكومة إزاءها. وهكذا قال السلطان : "لقد أطلعتنا على ضعف سلطة بوزيان إزاء قبائل ضواحي تازة، مذكرا أنها تمردت عليه، في الوقت الذي يزرع فيه الفتان عبد القادر الفوضى في البلد، ويستميل إليه بعض رجال القبائل. أجل، أن مساندتهم له يوظفها لصالحه، ويؤجج أطماعهم بخطاب لا طائل تحته، وكلام ماكر، مما حدا ببعضهم إلى مراسلته في شأن مساعدته. وما الفائدة، والحالة هذه، إلى وضعهم تحت سلطة بوزيان، بما أن الأمر لن يزيدهم إلا ابتعادا عن رئيسهم؟ ورغم هذا، ألا يقولون بصوت عال، إنهم سيحافظون على ولائهم لنا ولو ولينا عليهم امرأة، لكنهم يرفضون سلطة بوزيان مهما كانت الظروف ؟

في هذه الحالة، يتوجب عليك تنفيذ تعليماتنا السابقة المتعلقة بقبائل تازة، مثل غياثه. وضع على رأسهم رئيسا يختارونه أو اثنين، واستملهم باللين وتسهيل التواصل معهم، ليعودوا إلى الهدوء والثقة. ونفس الشيء بالنسبة لقبائل البرانس، وتسول، ومكناسة التي نفرت بوزيان بشدة. ضعهم تحت سلطة عامل تازة حمان بن بلعباس، مع حثه على التدبير والمصالحة، وتحمل كل ما يصدر منهم، ومما يمكن تحمله، دون التساهل في شأن ما لا طاقة له عليه. ويتحتم في هذه الحالة جعلهم ينسون العائق الذي أثارهم، وتعويدهم على الخدمة والسير

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 18، ص 118.

على الطريق السوي. ولن يعارض بوزيان ذلك، وهو يعلم أن سيطرته عليهم لم تكن ذات مفعول كبير، نظرا لخروجهم عليه لسيرته فيهم.

وفي هذا الجانب، يجب استثناء الكرارمة الذين سيبقون تحت تصرفه. والذين يعارضون، يجب أن يصارحوا بقوة : "إذا أردتم أن تتصالحوا مع بوزيان، وتخضعوا لأوامره، فلكم ذلك، ولن أقبل أحدا منكم ليتولى أمركم غيره". اتركهم لشأنهم دون أن تعير لهم اهتماما، وقدم يد العون لبوزيان ليسير على رأس الجيش لتنفيذ ماهو عازم عليه من طرد الفتان. واكتب إلى مولاي ابراهيم، وعبد المالك الريفي، وحمو الروداني ليمدوا يد المساعدة، لأن قضية هذا الفتان خطيرة جدا وتتطلب الحل العاجل.

قل للمتمرد عبد الرحمن الكرومي : "أخبرني والدي أنك أشهدت الله عليك في عديد من الرسائل، تؤكد فيها انخراطك في ملاحقة عبد القادر وأصحابه للالتحاق بوسط الإمبراطورية الشريفة. يجب تنفيذ ما تعهدت به أمام الله. وأمثالك لا يتنكرون لما تعهدوا به. أنت على رأس من تسوسهم، وتملك رأيهم، وإذا كان أبي يعتمد عليك من أجل أن ينفذ بوزيان المهمة الموكولة إليه، فما ذلك إلا لأنه يعرف صدقك وقوتك، وقدرتك التي تدخرها لحل المشاكل، لأنك منا وإلينا لحما ودما..."

تحدث إليه في هذا الاتجاه وأثر حماسه ونشاطه، وهذه الوسيلة التي تعطي الثمار معه، لأنه (عبد الله ابن وقته)[1] رجل زمانه وله عيوبه: النفاق، والقدرة على التقلب مع الأشخاص، دون نسيان فكره المتحكم،

1. تلاعب بالألفاظ للقول أنه عبد الله (عبد الله)، لكنه ابن زمانه (ابن وقته) وله عيوبه.

ومعرفته بكيفية ولوج الأبواب المغلقة، واستمالة القلوب المتمردة. قدم له وعودا، لأنه متعطش وقادر على تغيير عقيدته من أجل بعض العقارات، لكن إذا سخر كل قدراته، فهو الرجل الذي يتوفق في مناوراته بتفوق، إن شاء الله.

بالنسبة إليك، أبذل ما في استطاعتك ضد الفتان، واستعمل كل قوتك لإيقاف تحركاته وتحركات مناصريه في المنطقة، حتى يتم طرده وإحباط نوايا اعداء الدين. وهكذا ستتحرر القبائل من طغيانه، لأنه أشاع كراهية مميتة لحكومتنا".

هذه الرسالة انتهت بتعليمات إلى خليفة وجدة، تحثه على أخذ الحذر في علاقاته مع السلطات الفرنسية بتلمسان.

وضعية إقليم وجدة، بعد معركة إسلي تمخضت عن تنظيم جديد، يتعلق الأمر في الواقع، باحتمال خضوع قبائل الحدود لتأثيرات فرنسيي تلمسان ومغنية، وخلاصة الأمازيغ (البرابرة) الجبليين الذين هم سباقون ورائدون، يبحثون عن كل الفرص للإعلان عن استقلالهم وسط ملاجئهم الجبلية، حيث قراهم عبارة عن حصون منيعة. ويجب الحرص على مواجهة التقدم الذي يحرزه عبد القادر لدى هذه القبائل.

ونظرا لهذا الواقع أصبحت إدارة الإقليم الشرقي في يد الأمير سيدي محمد، ويشمل أراضي تازة ووجدة. والشيخ بوزيان من عرب أولاد كروم، مع قبيلته المخزنية، كلف بحراسة برابرة تسول، البرانس، مكناسة، غياثة، إلخ... وحمان بن بلعباس فهو عامل تازة. وحسب أعراف الدولة العلوية فمخزن السلطان مولاي عبد الرحمن يعتمد على العنصر العربي الذي يكون كيش الوداية وشراكة، من أجل مراقبة

واحتواء برابرة الإقليم الشرقي الذين يشك في أمرهم. لكن هؤلاء البربر لا يقبلون الرؤساء العرب ويستغل عبد القادر هذه الوضعية بدعاية حاذقة[1].

إذا كان عبد القادر مثار الحيرة لدى المخزن، فهو نفسه كان يعيش في قلق، لأن الجزائريين الذين يلتفون حوله لم يكن عددهم كبيرا، وكل موارده كان يجب أن تأتي من البلاد التي كانت تعاني من غلاء أسعار المواد الغذائية ومنها يستقطب مناصريه لمواجهة جيوش السلطان. كان يستغل التسهيلات التي توفرها الحدود للتسلل بين الأراضي الفرنسية، والجيوش الشريفة، لاستمالة بني كيل، وأولاد جرار، وغيرهم، للأهمية الكبيرة التي توفرها له مساهمتهم. ولأن بلادهم، في هذه الحالة، يتخذها ملجأ. فكان يهيئ للتراجعات في جبال الريف لدى مطالسة، ويعمل على استمالة برابرة الأراضي المحيطة بتازة.

هكذا كان الوضع، حينما انفجرت أحداث خطيرة، في 01 شعبان 1242 (14 أوت 1846) التي تلخصها رسالة في نفس التاريخ. تقرير مولاي ادريس هذا، الذي أرسل من تازة إلى أخيه سيدي محمد، يبرر التخوفات التي أبان عنها السلطان في الرسالة السابقة، التي أعطى فيها تعليمات دقيقة لمواجهة الخطر المحدق الذي كان يهدد إقليم وجدة. أخبر مولاي إدريس أخاه أن غياثة التي تؤكد ولاءها جهارا للسلطان،

---

1. قبائل الكيش أو القبائل المخزنية تمت مركزتها في بعض نواحي البلاد فوق أراضي الدولة التي تعود إليها مع امتيازات أخرى، هذا من أجل قيامها بالخدمة العسكرية. الحكومة الشريفة كان لديها كذلك فرق دائمة وسود عبيد البخاري التي تكون المحلة أو الجيش المخزني، إلى جانب هذه القوات يعتمد وقت الحرب الأجنبية، أو الجهاد، على قوات مكونة من القبائل، تختلف أعدادها بين القلة والكثرة. كل هذه الجيوش بعناصرها شاركت في جيش سيدي محمد خلال معركة إسلي.

أعلنت رفضها لسلطة الرؤساء العرب. وأن الهدوء لن يسود على أرضهم إلا بإبعاد سلطة الشيخ بوزيان عنهم. خلال مقابلة مع هذا الشيخ، يوم الإثنين 17 شعبان 1262 (10 أوت 1846)، جوار سور المدينة وقريبا من باب الريح، أطلق فريق غياثة بعض الرصاصات، الشيء الذي حمل الجهتين على مواجهة خطيرة. جرح رجلان من الكيش، وقتل آخر، وجرح رجل من أهل تلمسان[1]، وقتل عنصر من ساكنة تازة.

في 21 شعبان 1262 (14 أوت 1846)، أربعة ايام بعد الحادث، هاجمت قبيلة تسول وقبيلة من مكناسة وهي بني علي، المحلة التي كان على رأسها القائد حمان بن بلعباس فقتل رجلان من الشراردة وجرح ثلاثة من الأوداية . فلاح انهزام جيش المخزن. أما جيش العرب بكامله الذي كان تحت إمرة الشيخ بوزيان فقد تسلل هاربا، وتم التخلي على محلة القائد الجيلالي بن العواد في معسكرها حيث بقيت "والله يعلم مصيرها" "يضيف الأمير مولاي إدريس". ثم يضيف أن الأمر كان نتيجة العلاقات بين عبد القادر وغياثة، الذين أرسل إليهم في الأيام الأخيرة، خمسة فرسان ليوصلوا إليهم مطالب مختلفة، وفي نفس الوقت، طلب المرور فوق أراضيهم. وقد تليت رسالته على العموم في سوق الخميس. وهو ليس إلا شريرا يتستر وراء لباس التقوى"[2].

رأينا فيما سبق أن السلطان استقبل البركاني أحد ضباط الأمير بحفاوة، في مراكش، وخصص له معاشا، وأن بن عراش ضابط آخر من ضباط عبد القادر منح منزل يسكنه بفاس.

1. يتعلق الأمر بمهاجرين جزائريين الذين احتل الفرنسيون بلادهم
2. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 19.

والآن، حاز السيد عبد القادر بن محمد، قاضي الأمير القديم، مترلا بفاس يسكنه. وخصص له راتب قار، بعد أن كلف بتدريس قانون الشريعة، إن كان مؤهلا، من خلال مؤلف مختصر الخليل[1]. ثروة الأمير تتقلص بوضوح، رفاقه القدماء يغادرون الدائرة[2].

وكان السلطان يستقبلهم بحفاوة نزولا عند الواجب والمصلحة، هذا الارتداد من طبيعته أن يخلصه من الهواجس التي أثارها وجود عبد القادر، والدعاية التي يتابعها بنجاح في إقليم وجدة.

تفاصيل قضية 10 أوت 1846 عرضت بوضوح في رسالة السلطان على ابنه سيدي محمد في 10 رمضان 1262 (10 سبتمبر 1846)، يقول له: "توصلت برسالتك التي تعطي تفسيرات حول قضية بوزيان مع متمردي تسول والبرانس، بعد أن أعياه أمر ردهم إلى جادة الصواب. وما قاموا به من مؤامرات ضد الأسواق التي يرتادها الحضريون والبدويون، هاجمهم على رأس جزء من المحلة الشريفة، ومجموعة من مقاتلي العرب ورجال قبائل ضواحي تازة. لكن الشيخ بوزيان هزم إثر خيانة رجاله إلى جانب قلتهم، والحالة هذه، عزا هو والكرارمة الهزيمة والنهب الذي صاحبها إلى رجال المحلة الشريفة الذين رافقوها، وإلى ابن العواد رئيس هذه المحلة."

رد السلطان هذه الهزيمة إلى لا شعبية الشيخ بوزيان. وقرر، لمعالجة الوضعية، ضرورة تعيين خلف له على إدارة تازة، وقبائل الناحية: مكناسة، تسول، البرانس، مغراوة وأولاد بكار مع الإبقاء

---

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 20.
2. الدائرة تشمل العائلة وأقرباء الأمير عبد القادر، وأهم ضباطه المستشارين، كتاب وغيرهم الذين كانوا يعيشون في محيطه ويسافرون معه.

على الكرارمة الذين كانوا معه، وغيرهم من العرب، ومواساته إثر الأحداث الأخيرة، ومساعدته على نسيانها.

ولن تبقى له أية علاقة بالمحلة الشريفة، وهي الوسيلة الوحيدة المتوفرة لإعادة الهدوء إلى القبائل البربرية. وتدبير الأمر أصبح مستعجلا، نظرا لتدخلات المحتال المتمرد عبد القادر الذي تجب محاربة كل تحركاته.

وفيما يخص رئيس المحلة، ابن العواد، الذي يعزو إليه الرأي العام الهزيمة والنهب، فيقول السلطان، بإقالته، رغم عدم ثبوت ما يؤكد سوء تدبيره. في الواقع، تستدعي الضرورة دعم المحلة لمواجهة عبد القادر وطرده.

وقد عمل مولاي عبد الرحمن، بعدئذ، بنصيحة الحاج محمد من بني وليشك، لتعيين قائد واحد على مطالسة وبني بويحيي وإلحاقهم بقبائل الريف"، للوصول بسهولة إلى دحر المتمرد، وتخليص البلاد من مكائده.

وأضاف السلطان، أنه تَعلم أن بوزيان سارع إلى إعداد 600 فارس ليضعهم رهن إشارة الأمير مولاي إدريس. وبمجرد وصول هذه الفرقة إلى الحياينة، طلب أحمد بن الجيلالي الاحتفاظ بها، ونجح، بمساعدته، في إعادة المتمردين إلى سلطته كما يحتم ذلك الواجب، وأحرق معسكرات فصل الشتاء، وأخذ الثروات وما ادخر من الحبوب. وبهذا أقر الهدوء واستخلاص الضرائب. كل هذا أشير إليه في رسالته وفي رسالة ادريس بن المكي المتواجد معه: "وهذا ما كان الواجب يفرضه، يضيف السلطان، لأن خنوع الحياينة ضروري لفرض النظام داخل البلاد. أما الكرارمة فهم وراء كل الاضطرابات".

لم تنته حادثة بوزيان وابن العواد، فعاد إليها السلطان في رسالته ليوم 22 رمضان 1262 (13 سبتمبر 1846)، هذه الرسالة أثارت نقاشا واسعا لم تكن له إلا أهمية تاريخية بسيطة، لكنها أعارت بعض الاهتمام لحادث سياسي داخلي خطير، لم يكن عبد القادر بغريب عنه. فإذا كانت من جهة توضح لنا ما كانت عليه سياسة المخزن في مثل تلك الحالة، فهي تفيدنا أن ضباط السلطان الكبار لم يكونوا في منأى من الضربات المفاجئة التي تلقتها، في جوان 1844. بعثة الجنرال بادو(Bedeau) الذي جاء للتفاوض مع بلكناوي. وقام فرسانه، رغما عنه بمهاجمة حرس الجنرال الفرنسي الذي اضطر للانسحاب بمساعدة بيجو (Bugeaud)، الذي سارع إليه بامدادته. هكذا اتضح عدم انضباط الرجال، وضعف سلطة القادة المغاربة. وهذه الأمور تشير إلى أزمة السلطة إن لم نقل إلى التقهقر العام.

في هذه الرسالة يقول السلطان لابنه : "الشيخ بوزيان عرض في رسالته كل جوانب المعركة التي جرت بينه وبين المتمردين من التسول والبرانس، والأخطاء التي ارتكبها الجيلالي بن العواد، والذي قاد إلى الهزيمة، وتسبب في الخسارة. بوزيان لا يعترف بهزيمته، لكنه يتحدث فقط عن كونه أدى واجبه ضد المتمردين بإحراق منازلهم، وسلب ثرواتهم، وعاد سالما غانما. وفيما بعد قام ابن العواد بدفع رجال المحلة لمهاجمة هؤلاء الناس لنهبهم، في الوقت الذي كانت فيه وفودهم مجتمعة لإعلان خضوعهم طلبا للأمان. قام رجال المحلة هؤلاء بمحاصرتهم ومهاجمتهم، وقتلوا عشرة رجال، وأضاعوهم في عشرة خيول ما بين مسلوب ومقتول، وقد سجل كل هذا في دفتر سيصلكم صحبة هذه الرسالة. وقد جرت هذه الأحداث بعد معركة دامت من الصباح إلى ما قبيل الغروب بقليل.

"هذا الفعل كانت له خطورة لا مثيل لها، والذي لا يمكن التغافل عليه، ومن الضروري توضيحه بكل الوسائل الممكنة، ولا يمكن لبوزيان، بنية مقصودة، تقديم اتهامات كاذبة ضد المحلة. والحالة هذه، فقد انتشر هذا الأمر إلى درجة أن المتمرد (عبد القادر) كتب إلى الكرارمة ليتقدم إليهم، (ليتقرب منهم) وهو يتهمنا بالخيانة وسوء النية"

وقرر السلطان بعدئذ، أن يخص ابن العواد بعقوبة نموذجية، والبحث بين رجال سوس (قبيلة الكيش) عن المذنبين، وإبعاد رؤسائهم وتعويضهم، ثم إعادة ما تم سلبه من الكرارمة ومن العرب الآخرين. بالنسبة للأشياء الضائعة يتم تحديد ثمنها وتعويضها بما يقتطع من أجرة رجال سوس المذنبين. وسيخصص لهذا شهر أو اثنان أو أكثر عند الضرورة. ثم أضاف : "أبذل مجهودا لإضفاء طابع النسيان حول هذا الحادث المؤسف، وإبعاد التهمة نهائيا التي تثقل كاهل المحلة.

أما كيش عبيد البخاري، ومعه كيش فاس، فإن بوزيان لم يوجه إليهم أي اتهام"[1].

إن السلطان لا يفكر في محاربة الفرنسيين الذين تمركزوا بقوة في تلسمان ومغنية. فالخطر المحدق الذي لا يمكن إنكاره، هو حضور عبد القادر فوق التراب المغربي الذي يهدد الدولة الفيلالية، لشهرته، وتجربته بالرجال، والسياسة والحرب. سيتفاهم السلطان دائما مع رعاياه الشديدي التقلب، والأكثر فوضوية، حينما يستعصي أمر إغرائهم، واستمالتهم على المخادع الماهر الذي يتحدث عنه، بهذه العبارات في رسالة بتاريخ 2 شوال 1262 (23 سبتمبر 1846) : "...بانكسار

1- أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 22.

شوكة الفتان ووهن جانبه حسبما ذلك بكتاب ابن عمنا المذكور، وابن عبد المالك، فذاك ما ينبغي، نسأل الله أن يكفينا والمسلمين شره. وما بلغك من الندم والتبري والرجوع مما كان عليه، وأنه يتأسف، وينسب ما وقع فيه للكرارمة، فلا تثق بذلك، ولا تعتمد عليه، فإنه دجال من الدجاجلة، قلبه في جهة ولسانه في أخرى، ولا عهد له ولا ميثاق يقف عنده. ولعل ذلك منه دسيسة وسعي في الإفساد لقلوبنا على الكرارمة، ليزيد في نفورنا منهم، ويحقق لهم ما زرعه في قلوبهم. قاتله الله يجمد في حسم مادته، وإبطال شعوذته، ومعاملته بنقيض مقصوده. ولا تغتر بما يفوه به من لا تمييز عنده من نسبته للضعف والوهن، فإن أمره كذلك. ولكن يتوصل بحيله، ومكائده، وتلبيسه بما لا يتوصل إليه بالقوة والعدة والعدد. ولو كان حاله على ما وصفت ظاهره كباطنه، ما طال أمره، واتصل شره. ولا تقصر في تحريض القياد المقاتلين والقبائل لتعجيل طرده، وأخذه، وإبطال كيده. وضعف لهم أمره، وقلل فائدتهم في العجز عنه، وأيقظ حفائظهم، وذكرهم بعاقبة مكره، وبما يضمر من نكره. ولا تال جهدا في ذاك، حتى يأخذه الله، ويرد كيده في نحره، ويجعل دائرة السوء عليه. فإنه أعدى الأعادي للمسلمين، وفتنة أكبر عليهم من فتنة المشركين، لعدم وفائه بعهد، ولتعميته في كل عقد وقصد، وإتيان هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه. أهلكه الله، ولا تأل جهدا في إمداد المحلة بكفايتها، فإن بذلك تعان على عدوك. فدين الناس هو الطمع. وقد كان الناس من قبل "يجوعون"، ويعرون، ويصبرون رجاء الثواب، واليوم الناس همتهم في بطونهم"[1].

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 23.

الشيخ بوزيان أكد إخلاصه للسلطان في رسالته بتاريخ 3 ذو القعدة 1262 (23 أكتوبر 1846)، وأخبره بوجوده في مسون منذ ستة أشهر[1] يراقب عبد القادر الذي استقر في بلاد مطالسة. وقد رحل إلى الصحراء مع بعض فرسانه ومتمردين ريفيين. وأضاف أنه ليس من القوة حتى يهاجمه بنجاح، ولا يمكن القيام بذلك إلا بعد وصول جيش سلطاني، وأن البلاد في اضطراب شديد لوجود الفتان، وأبناء مكناسة هم الذين انساقوا مع الفوضى العارمة.

لما علم السلطان بفشل حل بعبد القادر، كتب إلى ابنه سيدي محمد في 16 ذي الحجة 1262 (5 ديسمبر 1846)، يخبره بتوصله برسالة، وأنه بعد اندحار عبد القادر في حربه مع مطالسة، حيث كان يقيم بين ظهرانيهم، فقد خرج عن طاعته الرجال الذين استمالهم، وخاصة منهم قبائل تازة، فحاربه الكرارمة بلا هوادة. وقال أيضا أنه قد علم بمغادرته لأراضي مطالسة، ودور عرب الأحلاف في الهزيمة التي مني بها ومعه البوحميدي، ونصح ابنه بمضاعفة جهوده لتخليص البلاد من وجوده[2].

في 16 ربيع الثاني 1263 (3 أفريل 1847) أفاد مولاي عبد الرحمن ابنه بأخبار عن توجه عبد القادر إلى أكوفاي، لدى بني مطهر، ومعه لوازمه وفرقة من مناصريه. وأكد أنه ماكر، وقال أنه يعرف، بواسطة مولاي علي الدرقاوي الذي كتب إليه من عين زورا[3]، الجبل الذي يلجأ إليه بمهارة هذا الشيطان، انخداع رجال قبائل الناحية، ليجرهم وراءه. وفي نفس الوقت يطالب الرجال العقلاء بإرسال جيش كبير

1. قصبة مسون على واد مسون، أحد فروع ملوية اليسرى.
2. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 24.
3. نقطة توجد في ناحية تازة وجدة (الآن بإقليم دريوش)

لاحتلال البلاد، وإعادة الضالين إلى جادة الصواب، ومحاربة عبد القادر إلى حين القبض عليه. وأضاف أنه أجاب الشريف الدرقاوي أن طلبه سيحضى بالتنفيذ حينما تسترد الجياد قوتها بعد شهر مارس[1].

وأعطى أوامره بالشروع في تجميع التموينات منذ الآن.

في نفس التاريخ كتب السلطان لسيدي محمد أن القائد الميلود بن عراش[2] أخبره أن النصارى خطفوا ابنته ولا تزال إلى الآن بين أيديهم. وهو يطلب تحريرها. وأمر السلطان ابنه بأن يطلب من قائد الفرنسيين بتلمسان بإطلاق سراح هذه المرأة وإعادتها إليه، وقال السلطان: "فالميلود بن عراش الآن أصبح منا وتحت ظل حمايتنا"

نرى الآن ذهاب ومجيء عبد القادر، لا يتوقف بجانب الجيش المغربي، وبجانب القوات الفرنسية، يبذل كل جهوده للتخلص من الأخطار العديدة المحيطة به في وقت تتضاءل إمكانياته وتتلاشى مصداقيته.

في تاريخ 28 ربيع الثاني 1263 (15 أفريل 1845)، أخبر سيدي محمد السلطان أن عبد القادر التحق بالصحراء، وأقام لدى حميان الذين كان يؤدون له إتاوة. ولما علم الفرنسيون بذلك، بعثوا من تلمسان قوة مدعمة بقافلة كبيرة من الجمال تحمل مؤونة شهرين. وحين علم عبد القادر بالخبر، هرب ليلا ليصل إلى حدود منطقة كرت[3]، وقد التقى في طريقه كثيرا من فرسان بني كيل الذين قالوا له :"افعل ما تشاء". وبعد أن تركهم، تبعه بعض رجال بني كيل، وقتلوا أحد رجاله، واستولوا على فرسين إثنين.

---

1. يقرأ: نهاية أبريل.
2. أحد ضباط عبد القادر القدماء الذي احتمى بالسلطان.
3. إقليم على ضفة ملوية السفلى، الذي يمتد جنوبا إلى دبدو.

وأشار إلى أن محصولات الريفيين وفيرة، وأصبح مستعجلا وصول المخزن إليهم، لأن عبد القادر يستغل غيابه الطويل لإثارة العقول واستمالة أصحاب الفتنة. والحالة هذه، فمولاي علي الدرقاوي وأولاد سيدي بن مخلوف الذين يطيعونه، ألحقوا بهم هزيمة، وأخضعوا غالبيتهم للمخزن. وينتظرون الجيش السلطاني لمعاودة الكرة لإحراز انتصار ساحق.

خلال سنة 1847، وفي المرحلة الأخيرة من مساره، كان عبد القادر مبعث نفس الاهتمامات والمشاكل للحكومة الفرنسية والحكومة المغربية، المرهونة بهدف إلقاء القبض عليه. التعاون بين الحكومتين أمر لم يكن واردا لصعوبة تنفيذه، رغم توافق مصالحهما. والحالة هذه، ورغم غياب تفاهم متفق عليه، فإن الظروف المتوفرة جمعت بين الضغط المزدوج: الجزائري المغربي للدفع بالأمير إلى الاستسلام.

السلطان لم يكن يطلب مساعدة الفرنسيين ضد عبد القادر دون أن يلوث سمعته. الفرنسيون لم يكن لديهم نفس الهاجس وحاولوا العمل بالتعاون مع المخزن بطريقة ملتوية. ونجد الدليل على هذا في رسالة م.دي شاصطو في 19 جمادى الأولى 1263 (5ماي 1847) التي أرسلت إلى القائد محمد الأحمر المبعوث إلى الريف من لدن السلطان لإخضاع عبد القادر ومناصريه. في هذه الرسالة، عرض رئيس البعثة الفرنسية بالمغرب على القائد تقديم إعانة مالية، لمساعدته على أداء مهمته، وإعادة المتمردين المغاربة إلى الخضوع للسلطان، لأن الرسالة، تضيف :"لنا مصلحة كبيرة في طرد الأمير عبد القادر من المغرب وقررنا بذل جميع جهودنا للوصول إلى هذا الهدف".

هذا الاقتراح لم يظهر أثره إلا بعد الاطلاع على رسالة السلطان في 3 جمادى الثانية 1263 (19 ماي 1847). نفس الرسالة تشير من جهة أخرى إلى أن مولاي عبد الرحمان عرف بأفعال ومحاولات الأمير عن طريق السلطات الفرنسية.

قال السلطان لابنه في هذه الرسالة : "توصلنا برسالتك ومعها رسائل بوزيان، ابن عبد الرحمن وبا محمد، تخبر بعرض عبد القادر للالتحاق بالصحراء المقرون ببعض الشروط التي قبل بها ابن عبد الرحمن." وأعلن السلطان أن الأمر لا يعدو أن يكون حيلة يلجأ إليها الأمير لربح الوقت الضروري لتنفيذ مشاريعه.

إن رؤساء هذه الناحية أخبروا، مرارا، بعروضه التي لم تسفر عن أية نتيجة. "كونوا حذرين، يقول لسيدي محمد، وضاعفوا يقظتكم، وقارنوا هذه الاقتراحات بالمعلومات التي حملتها رسالة القنصل الفرنسي التي بعثناها إليكم، فهو على اطلاع بأحوال عبد القادر لأنه استخدم، لهذا الغرض، عددا كبيرا من الجواسيس. ولديه رغبة عارمة لوضع حد لطموحات عبد القادر."

وبنفس الطريقة أجابنا عبد القادر حينما أمرناه منذ زمن قريب بمغادرة الأرض المغربية أو الالتحاق بداخل الإمبراطورية ليقيم تحت حمايتنا، فاختفى، متعللا بقوله أن الطاعون قد ألحق أضرارا بقومه إلى درجة قل معها الرجال لدفن الموتى، مضيفا أنه إذا كان الكثير يقومون بمحاولاتهم لزعزعة حالة السلم، فهم يستحقون عقاب الأوراينة[1] (Oraina) . لكن مسعاه هو بث دعايته وسط القبائل[2].

---

1. قبيلة عربية ارتد رجالها.
2. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 26.

في 16 جمادى الثانية 1263 (1 جوان 1847)، أكد سيدي محمد للسلطان الأخبار الواردة حول ما تعرضت له فرقة فرنسية بالصحراء من هزيمة متبوعة بنهبها[1]، والواردة في رسالة عامل وجدة بالتفصيل.

وعلم من تافلالت أن أسلحة وأشياء سلبت من الفرنسيين ظهرت بالأسواق.

بالنسبة للمجرم عبد القادر، فقد عرف سيدي محمد حالته المزرية التي دفعته إلى الالتحاق بالصحراء. في الواقع، أرسل العناصر الضعيفة من دائرته في الطليعة، وقام بنفسه، بمغادرة مطالسة في اتجاه بني توزين ثم إلى نقطة بين بني وليشك وبني (أولاد) سعيد الذين أوهمهم أنه يتجه إلى الصحراء عن طريق صبرا[2]. هذه كانت نيته حينما علم أن السلطان سيحل بالناحية بنفسه، لكن لما علم أنه لن يغادر مراكش، عدل عن رأيه، وأقام حيث هو. إن القوة وحدها هي التي ستجليه، لأنه استمال رجال البلاد باستثناء بعض العقلاء.

وأضاف سيدي محمد أن الأرقام التي قدمها الفرنسيون في رسالة إلى السلطان الذي قام بنشرها، هي أرقام مغلوطة كعادة المعلومات التي يقدمونها. فعبد القادر ليس معه إلا 300 فارس و600 من المشاة، لكن العناصر الهائجة في المنطقة، وفي كل قبيلة، عناصر من هؤلاء، لا يتورعون عن الانضمام إلى قواته.

1. يتعلق الأمر بحادثة 10 جانفي 1847 بين أولاد جلال (واحة جنوب بسكرة) وقوات الجنرال هاربيو (Herbillon)، تعرضت خلالها القوتين المتحاربتين لخسارات كبيرة، أنظر بيليسيير دورينود (Pellissier De Raynaud)، الحوليات الجزائرية، باريس، ديمان 1845، طبعة جديدة ج III ص 280-282.
2. نقطة تقع على ملوية الوسطى قريبا من الحدود الوهرانية المغربية.

وأعلن أن المسيحي كتب إلى القائد الأحمر رسالة بعثها إلى السلطان تتعلق بعبد القادر، رسالة متعارضة مع التي تسلمها من جلالته. ويتضح من هذه الرسالة أن المسيحي قلق من حضور عبد القادر، قريبا من الأراضي الجزائرية، ويصر بكل الوسائل على التخلص منه. ويخبر كذلك بأن الأمير بعث برسالة إلى القائد الأحمر. وهذا الأخير طلب إمدادات لأن الوقت حان لطرد المجرم، وإرغام القبائل لدفع الاتاوات . يقول سيدي محمد أنه قد وفر له 1000 فارس، لكنه طلب عددا أكثر من هذا. وهو مستعد ليرسل إليه 500 فارس و400 من الجنود النظاميين. كان يجدر الأمر أن ترسل هذه القوات إلى الحياينة لاستخلاص الضرائب والذعائر، ثم يتم نقلهم إلى جوار غياثة الذين كانت محصولاتهم الزراعية وفيرة هذه السنة، لكن التحرك الذي قام به عبد القادر أرغمه على إرجاء قضية الحياينة للتفرغ لما هو أكثر استعجالا[1].

في 29 جمادى الثانية 1263 (14 جوان 1847) كتب السلطان إلى ابنه يخبره بتوصله بالرسالة التي تؤكد هزيمة القوات الفرنسية في الصحراء الشرقية، بناء على أخبار وصلت عن طريق عامل وجدة. كما توصل بخبر محاولات عبد القادر الجديدة ورسالته إلى القائد الأحمر. ويرى في أبيات زهير التي وردت في ختام الرسالة دليلا على عزمه السيئ، ونواياه المريبة، وإيحاءاته السيئة والمثيرة[2]. وقد عرف سابقا أن اتفاقاته مع الكرارمة، حين الدخول إلى حيز التنفيذ، لم تكن إلا خيانة منه لهم. وقد أمره، بحمل القائد الأحمر "لمحو أثره وإبعاد خطره".

---

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 27.
2. زهير شاعر جاهلي، صاحب أحد المعلقات السبعة.

هنأ السلطان سيدي محمد (ابنه) لتأجيله إرسال الجيش لمحاربة متمردي الحياينة الذين توفرت لهم محصولات زراعية وافية، مفضلا إرسال الإمدادات للقائد الأحمر. وأمره أن يحثه على الإسراع بضرب عبد القادر بقوة مع تجنب دسائسه والعمل على إفشال مراوغاته، وإخراجه من البلاد "وكما يقول السلطان، فعبد القادر متفوق عليه في الحيل الحربية وماكر، ومتفوق عليه في أعداد الجيش والعدة الحربية، وتقولون أنكم متأكدون أن أتباعه هم جماعة من المغامرين، عكس ما أوردته رسالة المسيحي التي بعثتم بها إلي. وهكذا أحيطكم علما، ليكون تدخلكم مبنيا على دراية تامة بالأوضاع، ويحتمل أن المسيحي لا يريد إلا إثارة حلولنا ليتخلص من القلاقل التي يثيرها عبد القادر. من جهتنا إننا لا نعتمد إلا على المعلومات التي توافوننا بها"

وحدث الملك ابنه بعد ذلك عن الرسالة التي أوردت أن القنصل الفرنسي قدم مالا للقائد الأحمر من أجل استمالة أناس من الشعب بتلبية جشعهم: "وهذا الذي صدر عن العدو، ليس إلا حيلة تحجب نوايا خبيثة لا تخفى عن أصحاب العقول النيرة. وقل للأحمر أن يجيبه بأننا لسنا في حاجة إلى السير في هذا المنحى، وأمنعه من التراسل مع المسيحيين مباشرة، لأن هذا المسلك سيجعله يغلب جشعه على عقيدته، وقد يلحق أضرارا بالمسلمين، لما تعرفه عنه من حب الطمع. والحالة هذه، فهو غير مؤهل لمخاطبة المسيحيين أو الرد عليهم، وهذا مجال لا يقوم به إلا المتتون أصحاب النفوس الرفيعة والنوايا المترفعة."[1]

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 28.

ونلمس من خلال عبارات هذه الرسالة أن المخزن يستأثر بكل السلط، ويطبق المركزية، ويبالغ في مركزة القرارات بين يديه. ولهذا يجد نفسه مضطرا للتدخل في كل الجوانب المتعلقة بالمجال الإداري والسياسي خلال فترات الحرب والسلم. إن السلطة المركزية هي بين يدي السلطان، بمساعدة بعض الوزراء الذين يشاركونه للاضطلاع بأسرار الدولة. وكأمناء يشاركونه السلطة، يختارهم العاهل من بين أفضل أفراد عائلته والعائلات الموالية له، أو الذين لهم نفوذ في نواحي البلاد. وفي هذه الحالة، تلعب الثقة دورا فعالا، ولا تكون دائما كاملة، أو مستحقة. في الظروف الحرجة كالتي تمخضت عن احتلال فرنسا للجزائر، أو تواجد الأمير عبد القادر في إقليم وجدة. لقد وجد المخزن نفسه في نسيج من المشاكل المتعددة الجوانب، مطالبا بمواجهتها في جميع المحطات، بوسائل متواضعة.

لكن خسارة المخزن أظهرت أهميتها رسالة السلطان إلى ابنه في 2 رجب 1263 (18 جوان 1847) حيث تتجلى تبعات هجوم قادة عبد القادر بحنكة. وهذه الكارثة الأخيرة كانت خطورتها أبلغ من معركة إسلي، قيمتها الرسالة بكيفية لم يعثر عنها في مكان آخر : "فقد وصلنا كتابك والكتب التي معه وعرفنا مضمنها وعلمنا ما صدر من الغادر الناكث عبد القادر أهلكه الله بغدرته، وأخذه بحوله وقوته، من الضرب ليلا على المحلة التي وجهت للريف في من معه مع قبائل الريف، فأنا لله وإنا إليه راجعون. جعل الله ذلك حدا لباس. فقد كنا نحذر ذلك ونتوسمه خيرا حين أدخلت المترابطة في ذلك، وخصوصا الشيطان التوزيني، قبحه الله، فإنه كان يحتال على هذا من قبل، بتفريق كلمة القبائل الريفية، وإنشاء الشنآن بينها ليتوصل إلى هذا. وما كان يكتب لك به هو وغيره من الحض على توجيه المدد، في إبانه، واجتماع صالحي

قبائل الريف على الدفاع للفتان عند وروده، ومعاينة الجد. إنما ذلك مكر وخداع، وقاتلهم الله، أنى يوفكون. وكل هذا بقضاء وقدر، ومن خدعنا بالله انخدعنا له. فإن القبائل الريفية ذوات عدد وعدة وباس شديد، مع كثرة الغدر، والابطان للمكر، ولذلك كان عمنا رحمه الله لا يوجه لها إلا المحلة المعتبرة، التي تحتوي على الأربعين ألفا فما قاربها، جذرا من وقوع مثل هذا. وبعد ذلك يلتقطون ما يسهل، ولا يوغلون فيها. فكيف بألف واحد مع الأحمر الذي لا يعرف اللسان ؟ ولكن لا عهدة عليك في ذلك إنما العهدة على هؤلاء المتربصة الذين سعوا في هذا، وخدعوك بالأخبار بغير الواقع، حتى ارتكبت ذلك، وتابعتهم. وقد كانت واقعة النصارى بوجدة[1]" أخف، لأن النصراني فعل ما فعل، وأقلع ورجع أدراجه. وهذه الواقعة هي الطامة لظهور هذا الشيطان الملتبس. ولكن الاعتماد على حول الله وقوته، والمرجع إلى التماس نصره، وعنايته، فإن سبحانه عودنا النصر على الكافرين، والظهور على الغادرين، وهو حسبنا ونعم الوكيل. والمحلة التي عزمت على توجيهها لتازة، عجل بها، فإنها من الواجب لعمارة الحوز، وحمايته، وإظهار المخزن فيه." وأضاف السلطان أنه سينطلق بعد إرسال هذه الرسالة[2].

هذه الترتيبات بررها رسالة بوزيان العبدوني المبعوثة في 10 رجب 1263 (24 جوان 1847) إلى سيدي محمد، والتي يشير فيها إلى ما يلي : عبد القادر يوجد على بعد مرحلة واحدة من تازة ينتظر هناك الجيش السلطاني بنية مهاجمته ليلا. وقد اتفق مع بني بوزكو، لتوفير ملجأ له عند الضرورة، ومساعدة من جانبهم.

---

1. إشارة إلى معركة إسلي.
2. أنظر النص بالملحق، (الرسالة رقم 29).

أما بني إيزناسن وأهل أنكاد فقد أذاعوا في أسواقهم أنهم سينهبون كل من يثبت أنهم موالون لعبد القادر أو من حلفائه. وأضاف أن الناحية على وئام تام، وفي إمكان المخزن أن يهنأ بثقته فيهم، باستثناء وجدة حيث يتواجد ثلاثة متمردين خطيرين. ويظهر أنهم يزرعون الفتنة وسط العقول بخطبهم وتصرفاتهم ودعايتهم لصالح عبد القادر، وهم: عبد القادر بنعبو الذي أثار تعيينه سخط المسيحي، ومثله، عمار الرسمي، الذي نشر عقيدة دينية ضالة (دخيلة) في المغرب، وأحمد المزوني وعبد القادر ولد رمضان الوجدي، الذي كانت دعايته تعتمد المنشورات المكتوبة التي تنقلها سريا امرأة اعترفت بذلك بعد أن نفذت مهمتها هذه.

وقد أخبر أن رجلا اسمه الحاج محمد بن الطاهر ينحدر من تطوان أو من ناحيتها، له علاقة بعبد القادر منذ حلوله بالبلاد، وقد أعطاه فرسا مسرجا وأسلحة. وأنهى رسالته إلى سيدي محمد بقوله : "بحثت عنه دون جدوى، وقد يكون من حظك العثور عليه."

هزيمة قوات القائد الأحمر التي تم الحديث عنها كانت بسلوان[1] ونسبت خطأ إلى قائد بني توزين الذي برأه السلطان من هذه التهمة في رسالته التي بعثها إلى سيدي محمد في 21 رجب 1263 (5 جويلية 1847)، لكن يجب أن نفهم أن هذه الهزيمة عقدت إطلاقا الوضع في شرق الإمبراطورية، لأن حضور السلطان بها أصبح ضروريا. وفي الواقع، هذا ما عبر عنه مولاي عبد الرحمن في رسالته : "فقد وصلنا كتابك وعرفنا مضمنه وعلمنا تأثر القبائل بواقعة الريف، وأن القبائل كلها عربا وبربرا في غاية السكينة، والاشتغال بجمع

1. قصبة سلوان توجد جنوب مليلية.

زرعهم. وظهر لك تعجيل قدومنا قبل فراغهم من جمعه. فنحن في أثره إن شاء الله تعالى. فأنا نعرف أنه ما حملهم على السكينة إلا الشغل بجمع أقواتهم، وترقبهم لقدومنا. وسيأخذ الله كل من حاد عن سبيل الاستقامة، ويندم حيث لم تنفعه الندامة بحول الله وقوته. وعلمنا ما تقدمت به لولد أبا محمد من الاحتراس، وإذكاء الجواسيس والعيون للإطلاع على أحوال الفتان، والعلم بداخلة أموره. فقد أحسنت في ذلك أصلحك الله، غير أن هذا من وظيف كل قائد محلة، ومتوجه لغرض. فكيف بمن يقابل عدوا، ويكابد ثائرا؟ فإن اليقظة والحزم لا يأتيان إلا بخير، وذلك مسطور في كتب السياسة، ومغروز في طباع أهل الرياسة. فزد في ذلك، فإن الناس اليوم كالبهائم، إن لم يساقوا لما يراد منهم لا يسوقون أنفسهم. وما ذكرت في شأن المرابط محمد بن عبد الرحمن التوزيني من سؤالك عن حاله مع الفتان، وتحقق عداوته له، عرفناه، ونستغفر الله مما ظنناه به. غير أنا حيث نزلت هذه المصيبة مع ما كان يكتب لكي يعد ويمني مع ما تقدم من شكاية عمال الريف به ولمزه، حملنا على سبيل الغفلة والتفريط، وظننا صدق ما كان يرفع العمال. وحيث الآن ظهر نصحه وقيامه عليه، وظهور برهان ذلك بأكل الفتان عزيبه، فقد ارتفع (المين) وظهر صدقه لذي عينين. وأخبرت أن الأحمر هو الذي استعجل الأمر قبل أوانه، واستبد برأيه، حيث رأى بعض الضوء، ووهن الفتان، حتى أنه لم يعلم المرابط التوزيني بما أجمع عليه من الضرب. وكون الحاج محمد الوليشكي غائبا عندك على زيادة المدد بذلك الذي أداه إليه اجتهاده. وقد أدى ما عليه. وإنما أفسد عمله فرار من معه. وعلمنا قيام المرابط التوزيني في جمع الخيل المنحازة لبعض تلك القبائل، وتوجيهها لتازة. وقام هو والحاج محمد الوليشكي على ساق الجد في تشتيت شمل المفسد،

وإبطال كيده، فلا شك إن شاء الله يأخذه بغدره، ويحرقه بنار مكره، ونكره. فإن كنا نظن أن الشيطان لا يبلغ له هذا المبلغ حتى يتمخض للعناد ويفسد دينه!".

وافق السلطان على قرار ابنه بعدم منع القبائل الريفية من الدخول إلى الأسواق والتسامح الذي أبداه إزاءها، وهذا ما كان يراه مناسبا لحمله على العمل به. "لأن إظهار ذلك يحملهم على النفور والزيادة في الاحتراز. والتعامي عنهم والاغضاء حتى كأنه لم يصدر منهم شيء يحملهم على التوبة والنصيحة، والقيام على ساق الجد في الخدمة، والسعي في أخذ من أوقعهم في ذلك".

وأضاف السلطان أن تأخير خروجه مرده إلى ما وقع من عصيان بحاحة قام به قاضي إد أوكلون، وتسوية هذه القضية في الطريق، وسيخرج بمجرد إنهائها[1].

الانتصار الذي أحرزه عبد القادر في سلوان كانت له انعكاسات في الريف كما تنبأ بها السلطان. ازدادت سمعة الأمير مما حدا بالسلطان إلى الاعتراف بملكات هذا القائد. وفي نفس الوقت رثى بمرارة استعدادات قبائل الريف المثيرة للغضب. وأغضبته المراسلة التي استخدمتها البعثة الفرنسية بطنجة، قدم من خلالها ليون روش معارفه المتعلقة بالعالم الإسلامي. وأمر باتخاذ الاحتياط الكبير فيما يخص العلاقات التراسلية التي يلجأ إليها. وقدمت الرسالة السلطانية بتاريخ 7 شعبان 1263 (21 جويلية 1847) معلومات إضافية وهامة تتعلق بالسياسة الداخلية. وقال لابنه "وصلنا كتابك، وعرفنا مضمنه، وعلمنا ما ارتكب

1. أنظر النص بالملحق، الرسالة رقم 30.

الفتان أهلكه الله من نزوله على قلعية، حتى ردوا ما كانوا نهبوا لأصحابه، ووظف عليهم الذعيرة زيادة على ذلك. وبذلك دخل الفشل في القبائل الريفية، والخوف من نزوله مثل ذلك بهم حسبما ذلك في كتابي التوزيني والوليشكي. وألهما ألحا في توجيه المدد" "فانظر إلى الفتان مع قلة من معه وكونه في غير بلده كيف توصل بالدهاء والمكر والسياسة إلى ما لا نتوصل له نحن بالكثرة وعدم السياسة. فلا ينفع الآن في تلك القبائل إلا ركوب الجد، واستعمال السياسة، وحسن التدبير، بفسخ عزائمهم وترهيبهم بما يوقظهم من سنة هواهم، ويردهم إلى سبيل هواهم".

يخبر السلطان بوصوله القريب، ويقول أنه كتب من القلعة[1]، ويتابع وهو يدين ممثل فرنسيا بطنجة، م.دوشاصطو وكاتبه المستشار ليون روش "الذي عرف اللسان وارتد بعد إيمان واطلع على عوائد المسلمين وعرف أمورهم وسيرهم". ودعا ابنه أن يقلل كتاباته إليه كلما أمكن ذلك، وأن يحذر نصائحه الهامة وكلامه المعسول الخادع[2].

الأمير لا يبقى مكتوف الأيدي ويستغل كل الفرص باذلا جهده وبراعته التي تثير الكثير من القلاقل لدى المخزن. وتشير رسالة السلطان إلى ابنه، في 18 رمضان 1263 (30 أوت 1847) إن عبد القادر لا يترك له وقتا للراحة، ويواصل بكل همة ونشاط دعايته وسط القبائل يستهوي التي يغريها ويعادي الأخرى، وأخيرا استقر بالكعدة الحمراء[3] لمنع تموين مدينة تازة.

---

1. مدينة أهلية على بعد مائة كلم شمال شرق مراكش.
2. أنظر النص الملحق، الرسالة 31.
3. غرب تازة، بين التسول والبرانص.

وافق السلطان ابنه عندما أمر قائد الحياينة بإعداد رباط بمساهمة فرسانهم ومشاتهم[1] لمحاربته قريبا في أراضيهم. وحدد التعليمات لابنه لإعادة القبائل، التي أضلها الأمير، إلى جادة الصواب والطاعة، بتحذيرهم بأنهم في غيهم كمن يبحث عن سراب، لا يجد أمامه إلا العدم. وهذا الذي يغريهم لن يلبث إلا قليلا ليجد نفسه قد دارت عليه الدوائر، فيدفع بهم إلى الهاوية.

وأعلن أنه يتابع طريقه، وقد أرسل خطابه من بلاد المذاكرة، في سيدي الغزواني[2] حيث ينشغل بمعاقبة مثيري الاضطرابات الكثيرين والأقوى من الفتان. وقد استبشر السلطان خيرا حينما علم أن قائدا على رأس 400 فارس يعمل على استمالة البرانس إلى جانب المخزن. وقدموا له وعودا للقيام بمحاربة عبد القادر دون هوادة. وقد أعطى السلطان أمره بتهنئتهم بحرارة، مضيفا أن الصرامة والقوة تلزمان الساكنة بتقديم نتائج جادة. ويأمر بعدم التوقف عن مراسلة كل قبيلة حسب ما يتطلبه الموقف (فمرة بالدعاء) الذي يتراوح بين الترغيب والترهيب. وهكذا يتصرف عبد القادر فيستولي على وجدان الناس.

إن أحداثا هامة في طريق الإنجاز. السلطان يتقدم إلى مسرح العمليات ويأمر سيدي محمد ابنه بمغادرة فاس صحبة قواته في اتجاه تازة. وكتب في 18 شوال 1263 (29 سبتمبر 1847) حول توصله من ابنه برسائل، تخبر بما حل بقلعية على يد الفتان، الذي بعد أن قدموا له الذبائح أرغمهم على أداء غرامات، رغم أن مساعدات القبائل الريفية كانت منتظرة. "فبوصول كتابنا إليك، يقول السلطان، تأهب للنهوض لهذا الأمر المهم بنفسك، فليس عندنا من يعول عليه إلا الله سبحانه، ولا تظهر النهوض حتى نكون بمكناسة ونوجه لك من المحلة التي معنا".

1. بمعنى تكوين معسكر دائم.
2. مرابط (ولي) شمال شرق قصبة بن أحمد في الشاوية.

وهذه الرسالة تشير إلى أن الإبن الآخر للسلطان مولاي أحمد، يقود جيشا في المنطقة. وفي الختام، طلب مولاي عبد الرحمان إحصاء كل القوات الموجودة بالبلاد ومعها قوات تازة وفاس[1].

ومن خلال هذه المراسلة (رسالة 32 و 33) يتضح أن سيدي محمد يوجد بفاس مع جيش، وأخوه مولاي أحمد يوجد بالحياينة مع قواته، وجيش في وجدة على رأسه عبد القادر الذي خلف بوزيان العبدوني، وجيش في تازة تحت امرة ولد ابا محمد، زيادة على جيش في نفس الناحية تحت ابن عبد الصادوق، أي ما مجموعه خمسة جيوش، دون احتساب الجيش الذي يقوده السلطان. بمقدار ما تقترب النهاية، أي دخول مولاي عبد الرحمن إلى مسرح الأحداث، ومعه ابنه سيدي محمد، والوضع يأخذ طابعا مثيرا للقلق، لأن الورقة الأخيرة المراهن عليها تتطلب إحراز الانتصار بكل إصرار. هذه الانشغالات تؤشر عليها رسالة السلطان في 22 شوال 1263 (3 أكتوبر 1847)[2] المثيرة لنبرة الاستسلام والأمل والرهبة، التي تلمس من سطرها الأول إلى الأخير.

من جهة أخرى، فجزئيات هذه الرسالة، والإحساس بالحيرة الذي يطبعها، تعبر عن مساوئ تمركز السلطة بشكل مفرط بين يدي العاهل، وبعض أقاربه، وقلة من وزرائه، وأحيانا وزير واحد. والحالة هذه، فالنظام يحمل المسؤولية الكاملة لبعض الشخصيات التي تقود عربة الدولة، حيث نلاحظ أن السلطان يتولى في نفس الوقت، مهام وزير الحربية، وممون القوات(الجيش)، ووزير الشؤون الخارجية...إلخ. بمركز السلطة، لكنه يتحمل ثقل المسؤولية. مآل الدولة والملكية ومآله الخاص كلها بين يديه، ويمكن أن يتعلق أمرها بخطإ يأتيه رجال ثقته.

---

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 32.
2. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 33.

وهذا ما يفسر الانشغالات الكثيرة التي ترهق السلطان في الفترة التي تشهد أزمة خطيرة، ولجوءه بحدة إلى النصوص القرآنية، والقوة الإلاهية وإلى الأمثال الشعبية البسيطة[1].

من جديد، يصدر مولاي عبد الرحمن أوامره إلى الأمير سيدي محمد، ليحدد له واجباته بصرامة كبيرة، مبرزا بصراحة متناهية، تقصيرين من جانبه يعدهما، في الظروف الراهنة، من الخطورة بمكان[2].

أحرز المغاربة على انتصار أولي، حيث كبدت ليلا قوات تحت قيادة سيدي محمد هزيمة للأمير عبد القادر، حطت من قيمته في البلاد إلى درجة أن فرقا خاصة، أعلنت خضوعها (للسلطان). لأن هؤلاء الرجال كانت لديهم القناعة ألا أحد في الدنيا يستطيع منازعته (عبد القادر) في الجلد والإقدام. أما قوات الجيش فقد ألهمها الانتصار قوة، وأصبحت على استعداد كبير لإلقاء القبض عليه. في رسالته بتاريخ 8 محرم 1264 (16 ديسمبر 1847)[3] يضيف سيدي محمد أن (الموقع) النقطة التي وصلها بعد مغادرة ملوية، تقع بين بني يزناسن، والأحلاف، وبني بويحيى[4].

أخيرا، توجت جهود الجيوش المغربية بانتصار جعل السلطان يعبر عن رضاه الكامل للطالب أحمد بن المعطي ولد المحاطية بتاريخ 22 محرم 1264 (30 ديسمبر 1847)[5]، إن هذا الانتصار هو الذي دفع عبد القادر إلى إرسال ما تبقى من دائرته إلى ما وراء ملوية، أملا في أن يلتحق بالصحراء بمحاذاة الحدود، لكن الممرات كانت تحرسها القوات

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 34.
2. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 35.
3. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 35.
4. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 36.
5. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 36.

الفرنسية، ولهذا استسلم الأمير للجنرال لاموريسيير (Lamoricière). وكتب القائد حماد بن بومهدي الهواري إلى السلطان في 16 صفر 1264 (23 جانفي 1848) العبارات التالية :[1] "أنه ورد علينا من حضرة مولانا ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان، وخليفة الشيطان، على كيده، وبارت تجارته، وفاء بالخسارة، واتضح للمسلمين ضلاله، فحصل بالقطر من السرور والفرح، ونشر الإعلام، ما أدهش العقول، وأنعش الأفهام. فيا لها من مزية لم تزل، على مر الليالي تتلى، وتسمو، يا ليتني كنت معهم، فأفوز فوزا عظيما. فلقد تلطف خليفة مولانا، ونجله، حتى استظهر ما استبطنه الخداع من متابعة حزب أهل ود وسواع، فشهرت الأسواق، وجليت من الأجياد الأطواق، فصار من هذا عرش الملك في أعلا عز وفاق واتسق بذلك الأمر أي اتساق".

عبارات هذه الرسالة الموجزة، بدون تضخيم ولا مغالات في الأسلوب تعبر التعبير الحق عن كون المغرب تنفس الصعداء، الذي أسهم فيه رجال المخزن ومناصريه، عند انتهاء هذا الحلم المزعج.

وكخاتمة لهذه المأساة، نجد في رسالة السلطان إلى القائد أحمد بن المعطي بتاريخ 2 رمضان 1264 (2 أوت 1848) أوامر تخص 80 شخصا من بني هشام[2] من بينهم رجال ونساء، سيحلون بأرضه، وأرسلوا إلى الأمير سيدي محمد، يأمره بمعاملتهم كإخوانهم، الذين كانوا من قبل سيساقون إلى نفس المكان، وإطعامهم، وتوفير المراكب لهم[3].

1. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 37.
2. قبيلة من أصول عبد القادر.
3. أنظر النص الملحق، الرسالة رقم 38، ص 150.

وثائق ملحقة[1]

11

(20 أفريل 1844)

من الأمير عبد القادر إلى السلطان مولاي عبد الرحمن

الحمد الله وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

مِلاذنا وعمدتنا وقاطبة أهل الإسلام، الذي بلغ الله به قصد ومرام، ورفع به مقام أهل الإيمان على كل مقام. متعنا الله بنصركم على الدوام على مر الليالي والايام، ذلك الإمام الهمام الذي اشتهر كنار على رؤوس الأعلام، ولا تحصى مزاياه أو تحصرها الطروس والأقلام، مولانا عبد الرحمن، ابن مولانا هشام، على مولانا ما لا يتناهى حصره من السلام، مضمخا بطيب التحيات والإكرام والتعظيم، وأسبغ عليكم أنواع الإنعام، ونصر بكم ملة النبي العدنان[2]، وخذل بكم أهل الكبر والطغيان.. ولا زاد بعد التماس صالح دعاه مولانا ورضاه الارضى

1. نسخ الرسائل المرقمة 17-18-19-21 و22 ضاعت و لم يتم العثور عليها، و لم يتم إدراجها ضمن النصوص الملحقة.
2. أحد أجداد محمد

مولانا عن أبناء صنوائنا الذين حلوا بساحته، وخيموا بجوار حضرته، وهم السيد أحمد، وأخوته أولاد المرحوم السيد أحمد بن أبي طالب، وأن لا يكونوا مطرحين بزاوية الإهمال، لأننا وإياهم منسوبون من جملة الخدم والعيال. ومثل مولانا نصره الله من قال فيهم تعالى جل جلاله: يحبون من هاجر إليهم[1]. ونحن بك أينما كنا، وحيثما حللنا، واستقر المكان بنا. لأن من إلى الشرف الرفيع انحاز فقد نال المطلوب وفاز.

11



1. قرآن.

وأن لا ينسانا من دعواته في خلواته وجلواته المرجوة القبول عند الله. ونحن من أهل الحسبة عليه بعد حسبتنا على الله، خديم حضرتكم الباذل جهده في مرضات الله ورسوله، ثم مرضاتكم المتوكل في كل أموره على الله. وعليكم الموضوع اسمه بالخاتم النائب عنكم (بما قدر من جهاد العدو والقائم)

في 01 ربيع الثاني عام 1260 (20 أفريل 1844)

12

(05 أوت 1844)

من الأمير سيدي محمد إلى أبيه السلطان مولاي عبد الرحمن

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف، وأداء ما يجب بين يدي سيدنا أمده من التبجيل والتعظيم والتشريف، يكون في شريف علم مولانا أمده الله أنا حللنا بعيون ستيدي ملوك، حلول عز ويمن وسعادة. نرجوه مولانا أدام الله وجوده ونصر أعلامه، وجنوده، وتلقتنا بها قبائل أنكاد بعطاطينهم[1]، وأظهرت من الفرح والسرور بمحال سيدنا أمده الله ما لم نعهد منها، وسكنت أنفسهم واطمأنت، وزال عنهم ما كانوا فيه من الخوف والجزع والروع والفزع بسبب فعل ابن الاكناوي. وانحاشت إلى عاملها الطالب حميدة السجعي، وانتظم شملها، وما بقي فيها من تطمح عينه للعدو الكافر بوجه، ولا بحال، كما تلقانا بزا أحوال سيدنا الكرارمة في أحسن زي وأعجب بعطاطينهم أيضا.

1. عبارة للدلالة على أنهم كانوا مصحوبين بكل أفراد عائلاتهم.

وقاموا بمونة المحلة أحسن قيام، وصحبنا كافة فرسانهم، ورجالتهم، وجميع أعرابهم. وما تخلف أحد هنا من هؤلاء القبائل المعتبرة، ولا أظهرت عجزا ولا تكاسلا. وقد اجتمع من القبائل الصحراوية أيضا خلق كثير لله الحمد وله المنة. والمسلمون الآن في غاية الظهور، وعددهم من أجل ذلك ينادي بالويل والتبور. وهذا، وقد بلغني كتب سيدي أمده الله ونصره، في شأن العدو الكافر الذي جعل طنجة نصب عينيه، واستفدنا منها ما حدث بطنجة من الهرج. فإنا لله وإنا إليه راجعون[1]. نسأل الله ببركة سيدنا أن يحمي صدع الإسلام ويكسر شوكة عبدة الأصنام. والمحال التي هنا في غاية النشاط والسرور والانبساط. وما لحقتها خصاص، ولا تلحقها بحول الله وبركة سيدي وجوده أيده الله. والسيد عبد القادر بن محيي الدين تأخر بمن معه لملوية بألطف إشارة، وأرهف عبارة من الطالب حميدة والشيخ حمدون بأمرنا وإشارتنا: فلم يبق للكافر الآن ما يعتذر به من جهته. والذي حققناه أن هذا العدو لا يقنع بتأخير السيد عبد القادر ولا بكل ما يفعل معه. إذ لازال مصمما مع ضعفه الآن بالنسبة للمسلمين المجتمعين هنا على تعرضه إن وجد إليه سبيلا. وقد عرف من قبل الطالب حميدة بنص ما في التقييدة الواصلة في طي هذا الكتاب، فأجاب بالامتناع من الخروج من مغنية. والمعين خروجه منها، إذ ليس في بقائه بها إلا الفساد، ورد هؤلاء القبائل للخوض والعناد.

فيتعين اشتراط الخروج منها عند الصلح معه، وإلا فلا يتم كلامه، ولا تحسم مادته، ولا ينقطع تسوف من في قلبه مرض إليه، ولا يستقيم من بقائه بها أمر من أمور هذه النواحي، وهذه القبائل

1. قرآن.

عزمت على الزحف إليه، وإخراجه منها، وأعمال موجبات التضييق عليه، من قطع الماء عنه، وأخذ من خرج منها، ومنع من يريد الدخول إليها، حتى لا يقر له بها قرار، ويطلب النجاة بنفسه، والفرار، وأن تمادى على البقاء بها مع توفر أسباب إخراجه منها الآن.

12

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وذهبت هذه الجموع وبقي بها، مد يده بل ورجله وملك ما يشاء من قوة وأمصار، وصدر ما لم يصدر منه في عصر من الأعصار. فلا ينفع معه إلا الجد ولا يخدع سيدنا بإبقاء عسة بها، أو بمغنية. فإنه يترك بها محلة لا عسة. وإن مكائده لا يحدها حد، ولا تدخل تحت عد، ولارضى أحد من هؤلاء القبائل بقاؤه بها خوفا من غدره وجسارته ومكره أن تفرقت هذه الجموع. وكذا الحراك، قالوا إن رجعنا وأبقينا هذا الكافر بمحلته ذهبت محلتنا، وظهر له فشلنا، والله يبارك في عمر سيدنا. آمين. والسلام.

في 20 رجب عام 1260 (05 أوت 1844)

محمد. وفقه الله بمنه آمين

13

(08 أوت 1844)

من محمد أشعاش إلى السلطان

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أدام الله العز والتأييد والتمكين والنصر والظفر والفتح المبين لمولانا السلطان المعتصم بالله المعان، سيدنا ومولانا عبد الرحمن، زاد الله سيدنا عزا وشرفا ومكانة وتبجيلا وتعظيما، وسلام الله وتحياته ورحماته ورضوانه الطيبات المباركات على الحضرة المنيفة الزكية، وبعد لثم حاشية البساط الكريم، وأداء الواجب للمقام الرفيع المبجل من التعظيم، فلا ريب أن ما فعل مراكب الفرنصيص بطنجة، يوم الثلاثاء العشرين

من شهر التاريخ[1] من إطلاقهم عليها، وتخريبهم بعضها، لا يعزب عن كريم علم سيدنا، ولا شك أن نجل سيدنا الأسعد أنهى ذلك لكريم علم سيدنا، وعليه اعتمدنا. والذي نعلم به سيدنا أن عشية يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر التاريخ، خرجت تلك المراكب عن آخرها، وغاصوا في البحر الكبير، والشائع أنهم قاصدون للتخريب على العرائش والرباط والصويرة، ثم يعودون لتطوان يفعلون بالجميع كفعلهم بطنجة، ووجب أن نعلم سيدنا ليكون من أمرهم على بصيرة. ونجل سيدنا الأسعد مولاي سليمان كتب لنا أن نوجه له الكمانية. فنحن نوجه له كل يوم ما يستحق له، ولمحلته حفظه الله، وأقر عين سيدنا به، وبأخوته. ولا حركة عند اللعين الفرنصيص في هذه الساعة للنزول في البر على ما بلغنا. وإنما غايته الفساد في المراسي. اللهم إن حدث شيء فالله يجعل كيده في نحره. والخفيف[2] الذي أمر سيدنا بتوجيهه لفراجي قد وجهنا منه نحو الثلاثمائة. ونحن ننتظر الأبل لنوجه الكمال. وعلى الخدمة. والسلام.

في 23 رجب الفرد الحرام عام 1260 (08 أوت 1844)

الخديم محمد إشعاش وفقه الله، آمين

1. التاريخ هو 5 أوت 1844، والهجوم بالمدافع كان يوم 6 أوت 1844، وصادف يوم الثلاثاء من الثامنة صباحا إلى الحادية عشرة.
2. أو من الرصاص.

13

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

[illegible]

14

(12 أوت 1844)

من مولاي سليمان إلى والده السلطان

الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سيدنا الإمام المؤيد بالله الهمام مولانا أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، وبعد أداء ما يجب من الإجلال والإعظام وإهداء رفيع السلام لعلي ذاك المقام، فقد وافانا الأمر الشريف والخطاب العلي المنيف، فتلقيناه بالإعظام والإجلال والمبادرة إلى أوامره وبالامتثال. فأنا بحمد الله كما يجب سيدنا ويرضى عن الوقوف والأخذ بالحزم في المصادر والموارد. فالعسة داخل البلد وخارجها ليلا ونهارا. لعلى أكمل وجه من الضبط والترتيب. فالكل قائم أحسن قيام. وقد دخلنا قبل تاريخه بيوم إلى المدينة. وفضلنا النظر إلى أبراجها. فظهر لنا أن إصلاحها يتيسر في أقرب مدة، لأن رمي العدو لم يعم جميعها، وإنما كان يصيب شرفات البعض منها، فتسقط. إلا ما كان من البرج الجديد الذي طريقه مارة أسفل سور البلد الموالي للمرسى، والبرج المتصل به من أعلا، فقد تهدم الكثير منهما. ودخلنا مسجدها الجديد فرأينا بسوره الموالي للبحر أثرا كثيرا من رمي المدفع له، وبسقفه أيضا، وأحصى ما نزل بالمسجد فالفى ستا وثلاثين كورة. والواقع خارج البلد شيء كثير. وقد جمع الأمين الحاج أحمد الرزيني ما وقع داخل البلد بالخصوص ثلاثة آلاف. وقد رأيناه مجموعا بالبرج الذي بإزاء باب المرسى. وأما ما وقع بالأجنة وأطراف البلد، فإلى الآن لم يجمع منه شيء. وسمع أهل البلد من القنصوات بعد نزولهم ورجوعهم لمنازلهم، أن ما رمى به من الكور ينيف على ستة آلاف بكثير.

ومع هذا كله فالسلامة حاصلة بفضل الله، وسعادة سيدنا.
وذكر لنا الأمين المذكور أن الكور، الذي اجتمع عنده كله، يصلح لوجود مثل تلك المدافع التي كان يرمي بها عندهم بالمرسى.

14

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[illegible]

... 27 رجب الفرد عام 1246

سليمان رفعه الله ...

وقرأنا كتاب سيدنا الشريف على القائد محمد بن عبد المالك، وكبراء البلد من القواد والطبجية وغيرهم، ففرحوا به أشد الفرح، وظهر عليهم من السرور والنشاط ما لا مزيد عليه، ولو حرضناهم، وذكرناهم ومنيناهم، وبينا لهم بعض ما أعد الله للمجاهدين من الأجر والمثوبة، وما ادخره لهم من رفيع الدرجات، فقاموا مبتهجين مستبشرين، ودفعنا لهم الكتاب الشريف بعد ليقرأوه على من لم يحضر منهم ليعم الفرح جميعهم. والقائد محمد أشعاش قد بذل المجهود، وظهر منه ما هو المعهود، فمنذ وصلنا لطنجة، ورسله تترادف علينا، فقد ورد علينا منه من الخيل والبغال ما عم جميع المحلة، فالله يعينه على خدمة سيدنا الشريفة، وورد علينا جاسوس وكيل النصارى بجبل طارق أمس تاريخه، فتلاقينا معه بالمحلة السعيدة، وذكر أنه راجع لمحله فورا، والسيد بوسلهام، ورد علينا منه كتاب، يخبر فيه بأنه بأحد الغربية[1] وأنه بنية الورود لطنجة يوم الكتب، وهذا ما وجب إعلام سيدنا به والسلام.

في 27 رجب الفرد عام 1260 (12 أوت 1844)

سليمان وفقه الله. آمين

1. سوق أحد الغربية، هذه الناحية تبتدئ 20 كلم جنوب طنجة وتنتهي غربا على شاطئ المحيط. والسوق يوجد على مسافة قصيرة من الشمال الشرقي لأصيلا.

15

(14 أكتوبر 1844)

من بومدين بن الهاشمي قائد وجدة

إلى السيد محمد ابن إدريس كاتب السلطان

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

كاتب مولانا الفقيه السيد محمد بن إدريس سلام عليك الأتم ورضوانه المبارك الأعم ورحمة الله وبركاته، وبعد: يعلم أيها السيد، أن بلاد وجدة والأنجاد وبني يزناسن وأولاد الهارة وكل من انضاف ودخل في حرم الله وحرم مولانا المنصور بالله بخير وعافية، والقبائل شرعوا في دفع واجبهم، والناس في هرج من الذي يتقدم في دفع ما عليه، والقبائل شرعوا في دفع واجبهم، والناس في مرج من الذي يتقدم في دفع ما عليه، والطرق مأمونة السلوك لم يظهر بها أبدا ما ينكر. والسيد حميدة تلاقى مع السيد حمزة بن سيدي الشيخ ببلاد الزكارة، معه قافلة كثيرة، ولم ندر الواقع. وأما عبد الله بن يعقوب حاكم وجدة أيام الكافر، ورفيقه لعرج قشوان، خرجا من البلد قبل وصول الحاكم لها، وتوجها لتلمسان، وهما بها، وطلبا من الكافر يبعث معهما بعضا من عسكره لوجدة يحملان اولادهما وعيالهما، فلم يساعدهما على ذلك. وبهذا القطر مصيبة من أعظم المصائب، وهو البيع نفاقا مع الكافر، عمت جميع النواحي وأعظم. وأنجس هذه البقاع الواقع بها ما ذكر، بقعة سوق عطية قريبة من مرسى الكافر غزوانه[1]، يحضر به أهل قلعية والريف وعياريه وأحلاف، وبني يزناسن، وأنجاد وغيرهم.

1. مدينة الغزوات الفرنسية، واسمها القديم قد عرب وأصبح الغزوات أو جماعة الغزوات.

15

فلم يطق العامل قطع ذلك، لعدم انحصاره في مكان أو مكانين. فاتسع الخرق على الرقيع. وأما الحاج عبد القادر فإنه عزم على الانتقال لناحية الصحراء، بعد جمع دائرته في الرحيل كلها معه، حيث شاء أو البعض. فوافقه البعض دون الكل. وقد بعث خيلا ينظرون له المكان الذي أراده. فإلى الآن لم ياتوا. وفي يوم الأحد وهو اليوم التاسع

والعشرون من رمضان[1] نزل الكافر بوهرا[2] (لم يتم التعرف على المكان/ الهامش) أو وواد كيس حيث كان نزول الباي. ولم يؤذ أحدا وهو به. وكاتبه السيد حميدة لما رأى فرار أعراب أنجاد، فأجابه لا نؤذي أحدا من إيالتكم.

في 01 شوال عام 1260 والسلام (14 أكتوبر 1844)

بومدين بن الهاشمي وفقه الله، آمين

16

(21 أفريل 1845)

من السيد بوسلهام بن علي

إلى السيد محمد ابن إدريس كاتب السلطان

الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محل أخينا في الله، ومحبنا من أجله، الفقيه العلامة كاتب أوامر مولانا الشريفة سيدي محمدٌ إدريس، امنك الله، ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، عن خير سيدنا ايده الله ونصره، وبعد: فقد وصلنا ساعة التاريخ كتابك وصحبته كتاب عدو الله دولارو الذي جاوبته فيه، وأشرت في طرة الكتاب وأن سيدنا المعتز بالله لم يقبل ما جعل القائد حميدة في المحادة. فلم يكف ذلك، ونحن فإذا كتبنا له نتبع نهجك في الخطاب. وها نحن قد رجعناه إليك مختوما كما أتى، لتوجه لنا نسخة منه وتبدل التاريخ. لأن سيدنا أيده الله، أمرنا نباشر

1. (12 أكتوبر 1844).
2. هذا الموقع لم يتم التعرف عليه.

الكلام معه، فلا بد لخبرك، بارك الله فيك، كل كتاب يأتي للنصارى، توجه لنا نسخة منه، لنوافقكم في الأمور التي تصدر من حضرتكم لأعداء الله. وهذه المحادة التي جعل أحمد الخضر، والقائد حميدة، من غير إحضار أكابر البلد، فلا فائدة لها حيث لم يحضر أكابر الفريقين، ولم تكن مشورة للمقام العالي بالله. وحينئذ يظهر لسيدنا إما يضع طابعه الشريف، وإما ينبذ ما فعلوه مع الرومي عدو الله. وقد طال ما حذرنا من هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولو كان أمر المحادة مجملا كما كنا نخاطب أعداء الدين، وأنها ظاهرة مع محادة الترك، فلا تحتاج إلى بناء ولا غيره لكان أحسن، وحيث حكوا ذلك، وجعلوه كما هو في الشروط التي أتت إلينا كان من الواجب المحتم فلا يبرموا شيئا مع أعداء*، حتى يكونوا أعيان القبائل حاضرين، لأن كل واحد يعرف بلاده وترابه، ومع ذلك تكون مشورة مولانا في كل شيء شيء، كما كنا نشاور مولانا في أمر السويد والدانمرك[1] مع التفويض الذي كان بيدي من الجانب العالي بالله. مرادنا نسخة في الجواب الكافر، لتكون على بصيرة فيه حرفا حرفا.

* أعداء الدين (الأخيرة تم نسيانها).

1- يتعلق الأمر بإتاوات قدرها 20.000 أو 25.000 دورو كانت هذه الدول تدفعها سنويا للحكومة المغربية وتم إلغاؤها بعد معركة إسلي.

16

(1261 هـ، 21 أبريل 1845)

الأمر لا يخفى عارف بأعداء الدين يولدونه من الحرف والألفاظ بما وهذه المحادة لا يخرج أمرها على وجه جميل إلا بمشقة عظيمة والأمر لله، وعلى الشرط الذي فيه التجارة، وفيه المشورة ومع ذلك حيث وضع الطابع عليه فلا يكون إلا ماضيا عند أعداء الدين وهذه النازلة قسها على الأمر الذي كان فعل عدو الله الإنجليز في الكتاب الذي أتى به لنطبع عليه وعلقته باتيان كتابك إلينا، وعمل علينا الحجة بمجرد الكلام لا غير، وحيث لم تنا احببناك، ونحب أخي، بارك الله فيك

المكاتب التي تصدر من سيادتكم للنصارى، أما توجهها مفتوحة إلينا وتعين لنا طابعا من عندك نطبعها به، وإلا توجه لنا نسخة منها حرفا حرفا لنسير على نهجكم في الأجوبة. وهذا ما ظهر لنا، والذي يظهر لسيادتكم عليه العمل، وعلى المحبة، والسلام.

في 13 ربيع الثاني عام 1261 (21 أبريل 1845)

أخوكم بوسلهام بن علي حفظه الله

17*

(14 جانفي 1846)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الطابع الشريف وبداخله، في الوسط : عبد الرحمن بن هشام، الله وليه سنة 1243 (1827-1828).

ولدنا البار الأرضى، سيّدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته. جاءنا مبعوث من الصويرة يخبرنا بأن قبائل الشياظمة ترفض أن يتولى قيادتها ابن الطاهر، وتهدد بالتمرد مع أهل حاحا، إن جاءها على رأس جيش، كما تم الاتفاق بين القبيلتين.

نيتنا هي إضعاف قوة الشياظمة وسحق مفعول حيلهم، من أجل الوصول إلى إخضاعهم، بعون الله. إن قواعد السياسة تتطلب استبعاد الاضطرابات أكثر ما يمكن، وعدم تكرارها. ونحن لا نفضل أي قائد، وهمنا هو البحث عن شخص قادر على ترويض دعاة الفتنة، والقضاء عليهم. ومن قبل أحطناك علما برسالة توصلنا بها من رجال هذه

القبائل وغيرهم ممن راسلونا كذلك. ونحن إذ نطلعك اليوم على ما يجري، فمن أجل أن تكون على بينة من الحقيقية. وعليه، فالذي يشاهد بأم عينه يكون أكثر دراية من البعيد عن الشأن. ولهذا فإني لا أريد أن تبقى جاهلا بجزئيات ما يجري حتى تتضح أمورك عند اتخاذ القرارات.

ونفس المبعوث أخبرنا أن الشياظمة تطالب بعامل جديد لم تكن له علاقات أو مشاكل، سابقا، مع أحد، يخلصهم من عمار أو سليمان، من أجل إبعاد الأول (سليمان بن الطاهر) الذي لا يقبلون قيادته، وكذلك الثاني (عمار أو سليمان) الذي لا يروقهم. فإذا رفضوا في البداية عمار (أو سليمان)، فذاك ذريعة منهم للوصول إلى تعيين من يختارونه. والغالبية من الشياظمة تفضل الحاج الطاهر ولد علال بن محمد، ويظهر أن تعيينه أصبح ضروريا، لأنه سيدخل الارتياح على نفوس الشياظمة من جهة، ومن جهة أخرى، فهذا الشخص أظهر منذ وقت طويل طبعا متزنا وأحرز على نتائج هامة. ويمكننا أن نتوخى منه إنجاز مهمته على أحسن وجه، وسياسته الناجعة ستعيد إلى جادة الصواب أولائك الفوضويين، لأن القبيلة تؤيده، وله علاقة وطيدة بعاملي حاحا وعبدة، تساعد على خلق التعاضد بينهما والتعاون. وهكذا ستصبح القضايا سهلة الحل، والنتائج ستظهر سريعا، ودون تعقيدات أو أخطاء. وحملتنا الحالية لا هدف لها إلا تهدئة اضطرابات القبائل، وحل مشاكلها، وحملها على أداء الضرائب.

لكن قضية الحاج عبد القادر أصبحت أكثر خطورة، وتستدعي حلا عاجلا، لأن كراهيته للحكومة اتضحت، والأعمال التي يأتيها تتطلب عدم إغماض العين عن تدخلاته التي أصبحت تشم رائحتها

وسط القبائل ما وراء تازة مثل الكزناية والتاحية. إن الذي يقود هذه الفوضى هو عدو الله محمد بن رحمان مع جماعة قد علمنا بفرقة أخرى، أذلهم الله ومحقهم. إن الحاج عبد القادر يعلم كيف يستميلهم ويحرك لديهم حب الطمع، ويستهوي أفرادا من الشعب بأن يخلف أطماعه المادية المطوقة ببراءة الدين، ويصور لهم الحيل التي يلجأ إليها بألوان براقة تستهوي ميولاتهم الطبيعية، ويدعوهم إلى الجهاد.

لقد كاتبنا عدة مرات هذه القبائل لتتخذ الاحتياطات من مكائده وسوء نيته. واطلعناها على نواياه الدفينة، وحساباته الماكرة، التي تنافي والشريعة السمحة. إلا أن كل هذه الأمور لم يكن لها أدنى مفعول نظرا لما يتمتع به من نفوذ، وما يقدمه إليها من إغراءات، وما يستهوي ميولاتهم الطبيعية بالتملق ودغدغة عواطفهم.

وقد جاء قاضي وجدة وأناس آخرون يفضحون ما يعرفون عن نزواته الظاهرة والخفية وكذلك الفوضى التي يرمي إلى إشعالها. لقد نشر نداء من أجل الإشهار بنفسه، لأنه يعرف سذاجة الشعب ونجاح حيله. لقد كتب لسكان الريف[1] والجبل (جبالة)[2] ووصلت رسائله إلى أولاد مولاي عبد السلام[3] لم تبق هناك قبيلة لم يكتب إليها داعيا إياها إلى الجهاد، ومحرضا إياها على الفوضى التي انغمس فيها، ولكي ينقادوا له، يذكرهم بانتصاراته السابقة في الجزائر: النهب، والانتصار، والقبض على الأسرى، وما قتله من الأعداء.

---

1. المنطقة الواقعة بين غمارة غربا ووادي كرت شرقا.
2. المنطقة الممتدة من طنجة جنوبا غرب شفشاون.
3. يتعلق الأمر بزاوية مولاي عبد السلام بن مشيش المنحدر من ادريس، يوجد بجبل العلم، في بني عروس، جنوب غرب تطوان.

والحالة هذه، فالحقيقة هي غير ما يرمي إليه. فهو لا يقود إلا عصابات المعتوهين ولم ينتزع أي مركز من الفرنسيين، ولم يستول قط على أي أرض. فهو على رأس حثالة من الصعاليك المغلوبين على أمرهم المنتمين إلى قبائل الشرق التي ملأ بها بلدنا، سهولها وجبالها، في الوقت الذي ينتظر فيه النصارى نهاية فصل الشتاء، دون أن يعيروا له اهتماما. وقد اقتفى أحد جنرالاتهم أثره بعد 11 يوما من قبل، مع جيشه. وقد هرب دون أن يواجهه في أية لحظة من اللحظات، وعلمنا أنه يحاول الالتحاق بدائرته من أجل التحريض على الفوضى في إمبراطوريتنا، حفظنا الله من الأدواء التي يحاول نشرها.

إن أولاد ستوت والقبائل الأخرى المنظمة إلى بني دحمان، التحقوا به تعاضدهم قبائل مطالسة وبني بويحيى وكذا ثائرو بني يزناسن وأنكاد، وقد اتفقوا جميعا على عدم التخلي عنه في حالة الاضطرار.

من الضروري أن تطلع على هذه الأخبار لتكون على بينة من الوضع، وتكون على علم بأن محاربة هذا المختال عمل لا محيد عنه، ويتطلب اليقظة في المقام الأول.

إن هذه القضية استرعت كثيرا انتباهنا، و أبعدتنا عما هو بين أيدينا من الاهتمام بأمر المسلمين. ابعد الله هذا المتمرد وخذل مراميه آمين.

هذه هي المشكلة التي تستدعي عدم توزيع الجيش على مختلف المراكز. أما سليمان فاتركه لحاله، وبالنسبة للحاج الطاهر فأنت في عين المكان، وتستطيع اتخاذ القرار المناسب في حقه.

أصلحك الله ورعاك آمين والسلام

في 16 محرم المعظم عام 1262 (14 جانفي 1846)

18*

(08 أوت 1846)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولدنا الأبر، الأرضى سيدي محمد، وفقك الله تعالى وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

لقد توصلنا برسالتيك ومعهما رسائل أخرى، وقد أعطيناك مرارا كل الصلاحيات لمباشرة جميع القضايا. واتخاذ القرارات التي تفرضها الظروف. وهذا نظرا لبعدك وما تتطلبه المتغيرات المستعجلة من الوقت لإيجاد الحلول اللازمة. في هذه الحالة بادر إلى إقرار ما تتطلبه المصلحة، والحمد لله، فأنت تملك رجاحة العقل والتعقل والنزاهة ولا مبتغى لك إلا خدمة رعايانا. ومن جهة أخرى، فالمؤهل لاتخاذ القرار هو من يعيش الأحداث لا من هو بعيد عنها. والمؤمل ألا تتوانى في اتخاذ القرار اللازم إزاء القضية التي تراها مستعجلة، هداك الله. كم من مرة كانت لدينا رغبة في إثارة انتباهك حول قضية أو إعطائك الحل لها. فنفاجأ أنك قضيت في الأمر بنفس ما كنا سنعرضه عليك، قبل ما حدث مع تعيين حمام بن بلعباس المغافري على تازة، وإرسال تعزيزات عسكرية من الخيالة إلى مولاي إبراهيم. لقد تصرفت في القضيتين طبق ما كنا نرومه. زادك الله حكمة واستقامة، آمين.

لقد اطلعتنا على ضعف سلطة بوزيان إزاء قبائل ضواحي تازة، مذكرا أنها تمردت عليه، في الوقت الذي يعيث فيه الفتان عبد القادر

---

* ضاع النص الأصلي ولذا قمنا بترجمة النص الفرنسي (المترجمان).

فسادا ويستميل إليه بعض رجال القبائل. أجل إن مساندتهم له يوظفها لصالحه ويؤجج أطماعهم بخطاب لا طائل تحته، وكلام ماكر، مما حدا ببعضهم إلى مراسلته في شأن مساعدته. وما الفائدة، والحالة هذه، على وضعهم تحت سلطة بوزيان، بما أن الأمر لن يزيدهم إلا نفورا من رئيسهم ؟ ورغم هذا، إلا يقولون بصوت عال، أنهم سيحافظون على ولائهم لنا ولو ولينا على رأسهم امرأة، لكنهم يرفضون سلطة بوزيان مهما كانت الظروف ؟

في هذه الحالة، يتوجب عليك تنفيذ تعليماتنا السابقة المتعلقة بقبائل تازة، مثل غياتة. عين على رأسهم قائدا يختارونه أو اثنين، واستملهم باللين وتسهيل التواصل معهم، ليعودوا إلى الهدوء والثقة. ونفس الشيء بالنسبة لقبائل البرانس، وتسول ومكناسة التي نفرت بوزيان بشدة. ضعهم تحت سلطة عامل تازة حمان بن بلعباس، مع حثه على إتباع سبيل العناية الفائقة، والسير على نهج اليقظة، واللين، وحسن التدبير والمصالحة، مع تحمل كل ما يصدر منهم مما يمكن عمله دون التساهل في شأن ما لا طاقة له عليه (به). ويتحتم في هذه الحالة جعلهم ينسون العائق الذي اثارهم، وتعويدهم على الخدمة والسير على الطريق السوي. ولن يعارض بوزيان ذلك، وهو يعلم أن سيطرته عليهم لم تكن ذات مفعول كبير نظرا لخروجهم عليه نتيجة تصرفاته تجاههم.

وفي هذا الجانب يجب استثناء الكرارمة، الذين سيبقون تحت تصرفه. أما الذين يعارضون، يجب أن يصارحوا بقوة : "إذا اردتم أن تتصالحوا مع بوزيان وتخضعوا لأوامره فلكم ذلك، ولن أقبل أحدا منكم لتولية أمركم غيره". اتركهم لشأنهم دون أن تعير لهم اهتماما، وقدم يد العون لبوزيان ليسير على رأس الجيش لتنفيذ ما هو عازم عليه

من طرد الفتان. أكتب إلى مولاي إبراهيم، وعبد المالك الريفي وحمو الروداني ليمدوا له يد المساعدة، لأن قضية هذا الفتان خطيرة جدا وتتطلب الحل العاجل.

قل للمتمرد عبد الرحمن الكرومي : "أخبرني والدي أنك أشهدت الله عليك في عديد من الرسائل تؤكد فيها انخراطك في ملاحقة عبد القادر وأصحابه للالتحاق بوسط الإمبراطورية الشريفة. يجب تنفيذ ما تعهدت به أمام الله، وأمثالك لا يتنكرون لما تعهدوا به. أنت على رأس من تسوسهم وتصنع رايهم، وإذا كان أبي يعتمد عليك من أجل أن ينفذ بوزيان المهمة الموكولة إليه، فما ذلك إلا أنه يعرف صدقك، وقوتك وقدرتك التي تدخرها لحل المشاكل، لأنك منا وإلينا لحما ودما..."

تحدث إليه في هذا الاتجاه وأثر حماسه ونشاطه، وهذه الوسيلة التي تعطي الثمار معه لأنه (عبد الله أي ابن وقته)[1] رجل زمانه وله عيوبه : النفاق، والقدرة على التقلب مع الأشخاص دون نسيان مكره المتحكم، ومعرفته بكيفية ولوج الأبواب المغلقة، واستمالة القلوب المتمردة. قدم له وعودا، وأرغمه لأنه متعطش وقادر على تغيير عقيدته من أجل بعض المغريات، لكن إذا سخر كل قدراته، فهو الرجل الذي يتوقف في مناوراته بامتياز إن شاء الله.

بالنسبة إليك، أبذل ما في استطاعتك ضد الفتان، واستعمل كل قوتك لإيقاف تحركاته وتحركات مناصريه في المنطقة حتى يتم طرده وإحباط نوايا أعداء الدين. وهكذا ستتحرر القبائل من طغيانه، لأنه

1. تلاعب بالألفاظ للقول إنه عبد لله (عبد الله)، لكنه ابن زمانه (ابن وقته) وله عيوبه.

أشاع كراهية مميتة لحكومتنا، ويبحث عن كل ما يمكن أن يسيء إليها، حفظنا الله بعنايته من شر هذا الرجل، وأبطل مخططاته.

فهمنا من خلال الرسالة التي وجهها إلى خليفة وجدة، مرابط تكفاي[1] أنه تفاهم مع النصارى لتقديم جميع المعلومات التي تهم الإمبراطورية الشريفة، وأنه قبل جميع اقتراحاتهم حول القبائل المهاجرة. مره ألا يتفق معهم حول أي أمر يتذرع بسببه فيما بعد. وألا يتعهد لهم بشيء إلا قولا، دون الارتباط بعهود تخلق لنا مصاعب تكلفنا إنجاز مهمة ما، كما يتراءى مثلا، من خلال رد فيما يخص رعايا القبائل التي التحقت بإمبراطوريتنا (حفظها الله). ليس من حقه منعهم من دخول الأراضي المغربية ولا طردهم، فأخوالهم المسلمون لهم دور تجاه هذه القبائل المهاجرة، وليس هناك قانون مطبقا في هذا الجانب. ويجب عليه أن يلتزم بالقانون حينما يتدخل تجاههم، ويتصرف بحكمة ورزانة باللجوء إلى الحل الوسط : فالميسر من مطالبهم يمكن تنفيذه، وما يجلب الإزعاج يغض عنه الطرف، مع إبراز القوة ببراعة حقي لا يربطوا ذلك بكتاباته الخاصة ويتخذوها كذريعة. لأن النصارى، محقهم الله، يعتمدون استدلالات منطقية دقيقة للكلمات، ويحتفظون بالمكتوب لتصريفه عند الحاجة لقضاء أغراضهم. أكد عليه ليجيب النصارى : "لا يهمنا أمر ساكنة بلدنا الذين يلجأون إليكم ويقبلون الإقامة هناك، لا يهمنا أن نرغمهم على العودة، وكذلك الأمر بالنسبة لساكنة أرضكم الذين يلجأون إلينا، ويقبلون الإقامة بين ظهرانينا، فإننا لن نرغمهم على العودة إليكم. وهذا مرده إلى المصاعب التي يمكن

1. الاسم المعرب الذي يطلق اليوم هو "كيفايل" يوجد بين بركنت وتاوريرت في الجنوب الشرقي لوجدة.

أن تظهر إذا تصرفنا عكس هذا، أنظر للنقاشات والخلافات التي يمكن أن تترتب، والحالة هذه.

ويجب استخلاص العبرة مما قام به النصارى عند طرد شقيق محمد بن خدة، شيخ أولاد علي بن الهامل، والأسر المطرودة معه في نفس الوقت، المراد منه إخفاء نواياهم التي تقول : "لقد أعدنا الهاربين من بلدكم، فأعيدوا الذين هربوا من قطرنا". ما يقوله مرابط تكفاي عن رغبته في معاقبته، بدعوى أن رجوعه لم يكن إلا بتدخل من النصارى، فاحمله على عدم القيام بذلك، بالإضافة إلى عدم حرمانه من الحماية التي يتمتع بها، حتى تبقى علاقته حسنة بالنصارى، إن شاء الله، والسلام.

في 15 شعبان عام 1262 (08 أوت 1846)

19*

(24 أوت 1846)

من الأمير مولاي إدريس إلى أخيه سيدي محمد

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله إلى أخينا خليفة سيدنا الهمام

لي الشرف أن أخبرك ـوأنت متمتع بالطمأنينة والهناءـ أن الشيخ بوزيان قد أمر القائد حمان ابن بلعباس بإرسال جماعة من الفرسان، كل يوم، للقيام بدورية في ضواحي المدينة (تازة) في نطاق القيام بمهمته. حينما علم الحياينة بهذا القرار استشعروا الخطر، وسار بعضهم في الطرقات ينشر الرعب وسط المسافرين ويتسابق إلى النهب وسلب

* ضاع النص الأصلي، ولهذا قمنا بترجمة النص الفرنسي.

أملاك المسلمين. لكن، بعد ذلك، غيروا أسلوبهم، كما كانوا يدعون، قصد إقرار النظام فأرسلوا وفدا إلى القائد الذي انتقل إليهم مع فرسانه ومشاته، وطلبوا منه إيقاف دوريات الأمن من أجل العودة إلى الهدوء، وعند رفضه طالبوا بتطبيق شرع الله، وأعلنوا إخلاصهم للعاهل، نصره الله.

لقد أعلنوا أن الفوضى التي انساقوا معها مردها إلى تولية حكام عرب عليهم، وأكدوا أن الوضع لن يهدأ ما دام هؤلاء الحكام على رأسهم. وكل ما سيحدث اليوم أو غدا لن يكون سببه، كما قالوا، إلا بوزيان ومساعدوه. وليس هناك خلاف بينهم وبين جيش السلطان، نصره الله، ولا بينهم وبين ساكنة المدينة (تازة).

وبينما كانت المحادثات جارية، خرجت بعض الطلقات النارية من صفوف المتمردين مما أثار اضطرابا عارما في المعسكرين.

رأيت وسمعت كل ما راج، لأنني أثناء هذا اللقاء، كنت على سطح منزلي المطل على مكان الاجتماع جوار باب الريح، جرح جنديان من الجيش وتوفي واحد، وكذلك أحد ساكنة المدينة، وجرح أحد رجال تلمسان، وهؤلاء الأخيرين ومعهم بعض رجال المدينة هم من قدموا المساعدة للجيش، وقد أطلقت رصاصتان على المكان المشرف على مكان الحادث دون أن تصيبا هدفا والحمد لله.

هذه هي الأحداث التي وقعت يوم الإثنين الفارط (10 أوت 1846) من الأسبوع الحالي، لم أطلعكم عليها، خوفا من أن أكون سببا في خطأ تأتونه بناء على رأي ينسب إلي دون أن أكون صاحبه، والأكثر من هذا فأنتم لم تأمروني بإخباركم.

الذي وصلني مع مغيب الشمس. وخلاصة القول، فقد نشبت معركة بين قبيلة تسول وجزء من قبيلة مكناسة، وبني علي وبين الجيش السلطاني: قتل الشراردة اثنان وجرح ثلاثة من الأوداية. هذا الجيش ظهر وكأنه انهزم، فرقة العرب هربت بكاملها مع الشيخ بوزيان، وهكذا بقي الجيش السلطاني التابع للقائد الجيلالي العواد في معسكره حيث قضى الليل، والله وحده يعلم مصير هذه الفرقة، وهو الذي سيحفظها من كل شر.

لقد ترددت طويلا قبل أن أوافيكم بتقرير حول الحادث، وأخيرا ارتأيت أن أخبركم، بدعوى أنكم في حاجة للاطلاع عليه. تخوفت شخصيا أن تقع علي هذه المسؤولية الثقيلة الخطيرة، لكن الأمر لا يمكن أن يبقى سرا. لو كنتم شاهدا على الجرأة القصوى التي أظهرها رجال القبائل ضد المخزن لقابلتم عذري بالصفح.

هذه هي نتائج أفعال لابن محي الدين (الأمير عبد القادر) وكتاباته إلى غياثة التي وجه إليهم في الأيام الأخيرة خمسة فرسان طلبا لخدمة أهدافه. وكان الأمر يتعلق بالسماح له بالمرور فوق أراضيهم. وقد قرئت رسالته على العموم بسوق خميس غياثة.

هذا الرجل ما هو إلا مجرم بلباس الوقار. والآن، سيدي نرجوكم إظهار صرامتكم لاستبعاد هذا الخطر، وتنفيذ حكمكم العادل فيه، لأن كل افراد الرعية يعيشون حالة ذهنية يرثى لها.

لقد كاتبني شخصيا رجال غياثة من أجل إقامة علاقة ودية معنا، وفضلت عدم الاهتمام بهذه المواضيع وسائر السكان الآخرين، خوفا من أن أقع في خطأ ما. بالنسبة إلي، لم آمر أحدا بالدخول في الحرب

في المرة الأولى أو عدمه، وكان من الأفضل أنهم أحجموا عن ذلك. والرأي لكم، وليس غيركم مؤهلا لفعل ذلك على أحسن وجه. ولن يصيب الإنسان إلا ما كتبه الله له، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه هي الأحداث التي نقدمها لكم ولا يرقى إليها الشك، نقدمها لكم على سبيل الإخبار، والسلام.

في 21 شعبان عام 1262 (14 أوت 1846)

التوقيع: أخوكم إدريس، حفظه الله.

20

(02 سبتمبر 1846)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد، أصلحك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فبوصوله إليك مر الطالب علال الشامي، يدفع لحامله الفقيه السيد عبد القادر بن محمد قاضي الحاج عبد القادر بن محيي الدين ثلاثين مدا[1] من القمح، إعانة له على مؤنته، وينضر له دارا يسكنها مناسبة لحاله، وإن كان أهلا للتدريس يجعل له ما يستحقه من المشاهرة على أن يقوم على تدريس مختصر خليل، فقد بلغنا أنه يحسنه. وقد كتبنا لولد عمنا مولاي عبد الهادي بذلك، بأن يجعل له ما يستحقه. فإن قيمة كل أحد ما يحسنه، والسلام.

في 11 رمضان المعظم عام 1262 (02 سبتمبر 1846)

1. مكيلة تساوي حوالي 80 لترا، (يبدو أن المترجم جانب الصواب لأن اللتر توزن به السوائل أما المد فتوزن به الحبوب). (المترجمان).

20

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد أصلحك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته وبعد فموصله إليك مرابط من أصحاب علال الشامي يدعى حامله
الفقيه الحسين عبد القادر بن محمد قاضي الحاج عبد القادر بن محيي الدين
ثلاث مدة أمر الفقيه إعانة له على مؤونته وتبني له دارا يسكنها ملاحية
لحاله وإن كان أهلا للتدريس فيجعل له ما يستحقه من الشامي على أن يقوم
على تدريس مختصر خليل فقد بلغنا أنه يحسنه وقد كتبنا لولد عمنا مولاي عبد
الهادي بذلك بأن يجعل له ما يستحقه فإنه فيه كل أمر ما يحسنه والسلام في
رمضان المعظم عام 1262

21

(10 سبتمبر 1846)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولدنا البار الارضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: لقد توصلنا برسالتيك وفهمنا كل ما تضمنتاه

فيما يخص بوزيان مع متمردي تسول والبرانس. وقد أضفت أنه يئس من ردهم إلى جادة الصواب والتعقل، بعد هجومهم على الأسواق والقرويين وغيرهم من المتسوقين. ولهذا خرجت إليهم على رأس جزء من الجيش الشريفي ـ المنتصر بحول الله ـ وجماعة من المحاربين العرب ورجال من قبائل ضواحي تازة الذين كانوا معه.

وقد انهزم بوزيان إثر خيانة رجاله وقلة عددهم، ومع ذلك، فقد عزا هو والكرارمة الذين معه هذه الهزيمة والنهب الذي صاحبها إلى رجال الجيش الشريفي الذين كانوا معه وقائدهم ابن العواد، كما يستشف من الرسالتين اللتين كتبا. وهذا أمر مثير ! فكيف يعزا مثل هذا الفعل إلى جنود المخزن الذين أرسلوا كنجدة لمساعدته ومؤازرته ؟

لقد أحطنا علما بما احتوته الرسالة التي بعث بها أخوك إلى الجيلالي بن العواد، وفهمنا السبب الحقيقي للقضية، وهو النفور العام للناس من سلطة بوزيان ورفضهم العمل إلى جانبه. هذه العقلية أوصلت إلى تلك النتائج. ولن تعود هذه القبائل إلى جادة الصواب إلا بعد عزل بوزيان وإيجاد خلف له.

حين توصلك بهذه الرسالة ول حمان بن بلعباس المغافري على تازة وقبائل الضاحية : مكناسة، تسول، البرانس، مغراوة وأولاد بكار إذا كنت ترى أنه مؤهل لهذه المهمة وقادر عليها، وعلى تسييرها سياسيا، نظرا للمركز الذي يحتله. وإذا كنت ترى هناك من هو أفضل فاسند إليه الأمر، لأن من يوجد في عين المكان ـ مثلك ـ يرى ما لا يراه البعيد منه. ضع حلا لهذا المشكل قبل أن يستفحل وينتشر التمرد، نظرا للمحاولات التي يقوم بها المتمرد والمنافق عبد القادر.

إن عزل بوزيان من شأنه أن يعيد الهدوء إلى هذه القبائل. وبهذا سيجد الفتان نفسه محروما من المساندة. لا تدخر شيئا في محاربته، واصرف كل حماسك للقضاء على الداء الذي ينشره، لأنه إنسان بارع في الحيل لاستمالة الشعب والتغرير به.

اترك بوزيان مع الكرارمة وباقي العرب، فلم يعد لهم، منذ الآن، التكفل بجيش المخزن. خفف عنه ما حل به في القضية الأخيرة. وأحمله على نسيانها بأن تقول له : "أن الجيش الشريفي هو السبب في ابتعاد الشعب عنك، وعليه فراحتك ضرورية فيما يخص هذا الجانب في انتظار أن يمتعك الله بأيام سعيدة".

أما بالنسبة لقائد الجيش الشريفي ابن العواد، المتهم بكونه كان وراء الهزيمة والنهب، فيجب عليك أن تبعده عن القيادة، ولو أنك لم تتيقن من أن هذه التهمة غير مبررة. والحاصل، عليك بتعيين قائد، في مكانه، الذي ترى فيه العنصر الكفء لتحمل المسؤولية عن جدارة، والذي سيتسلم قيادة الجيش من ابن العواد مع تسريحكم لهذا الأخير.

بعد ذلك ابعث بهذا الجيش إلى ابن عمنا مولاي إبراهيم بن عبد القادر بن مالك، أو بجزء منه، حسب ما تراه ملائما، لأننا علمنا أن السلع ارتفعت أثمانها في البلاد، فلا ترسل إلا العدد المناسب لكل حالة. ومن الضروري، إمداد الجيش بوسائل العيش، كما تتطلب ذلك الظروف الحالية. ومن المستعجل المراهنة على العراقيل الآنية وتقوية الجيش الشريفي لاستفزاز المتمرد وطرده. ويجب أن تركز على هذا قبل كل شيء، واعتبر هذه القضية ذات أهمية قصوى وتتطلب كامل عنايتك ومجهوداتك.

أننا نوافقك تماما على اعتمادك اقتراحات الحاج محمد الوليشكي، عندما دعوت ابن عبد المالك لقيادة مطالسة وبني بويحيى الذين ألحقوا بقبائل الريف من أجل ملاحقة المتمرد وأضعافه. وقد أحسنت صنعا كذلك عندما حظي طلبه بالقبول المتمثل في إرسال الملابس ونسيج الكتان إليه. كما أخبرتني بذلك وحسب ما تفرضه الظروف، أصلحك الله.

ونقدم لك رأينا في الوضعية الحالية، ونحن بعيدين عن مسرح الأحداث، لكن الذي يوجد في الميدان يرى الأشياء بغير منظار من هو بعيد عنه. أفعل ما تراه مناسبا وأكثر فائدة، لأنك ترى الاستياء بنفسك وإذا كنا قد منحناك كل السلط، فلكي نتحمل كامل المسؤولية. أرشدك الله إلى الطريق السوي، ورعاك وهداك. آمين.

وقد علمنا أن بوزيان عجل بوضع 600 فارس رهن إشارة أخيك مولاي إدريس، رعاه الله، وبمجرد وصول هذه الفرقة إلى الحياينة، طلب أحمد بن الجيلالي الاحتفاظ به في منطقته، وبهذا، نجح في إعادة المتمردين تحت سيطرته كما يحتم ذلك الواجب. وقد أحرق معسكرات فصل الشتاء مع الاستحواذ على الثروات والتموينات من الحبوب. وقد فرض الأمن واستخلص الضرائب. وهذا ما استنتج من رسالته ورسالة إدريس بن المكي الذي يوجد بجانبه. إنه عمل جيد، لأن خنوع الحياينة وإخضاعهم للواجب من الضرورة بمكان لتكريس النظام في الإقليم. يجب أن تعمل بحماس كبير لحل هذه المشكلة الهامة. أما الكرارمة فهم الذين يثيرون كل القلاقل التي تستشري في البلاد، ويسيؤون إلى سمعة المخزن، أذلهم الله وأحكم قبضتنا فيهم. والسلام.

في 09 رمضان المعظم عام 1262 (10 سبتمبر 1846)

22

(13 سبتمبر 1846)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولدنا البار الأرضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد : عرض الشيخ بوزيان بإسهاب، في رسالة، وقائع المعركة التي دارت بينه وبين متمردي تسول، والبرانس، وتصرفات الجيلالي بن العواد، التي أضاعته هو نفسه كما خالف تدابير الشيخ بوزيان. لا يتوقف عن الحديث عن هزيمة، ويردد بأنه أدى مهمته ضد المتمردين بإحراق منازلهم، وسلب ثرواتهم، والعودة سالما. وبعدئذ قام ابن العواد بتأليب الجيش الشريفي قصد مهاجمة هؤلاء الناس وسلبهم، وحين كانت الوفود مجتمعة لتلقي الأمان، حاصرهم الجيش الشريفي وهاجموهم، فقتلوا عشرة رجال، وأضاعوا عشرة خيول سلبت أو قتلت. وقد دون كل هذا في سجل يصلك صحبة هذه الرسالة. وقد وقع هذا بعد معركة دامت من الصباح إلى حين اقتراب مغيب الشمس. وهذا من الخطورة بمكان، حيث لا يمكن السكوت عليه أو التغاضي عنه، بل يستدعي، على العكس، كل عنايتنا وقدراتنا. فلا يمكن لبوزيان، بنية مقصودة تقديم تهمة ملفقة علانية ضد الجيش الشريفي، دون أسباب أو استفسارات. والحالة هذه، أنه عاين مرور العديد من فرق الجيش الشريفي، وتعاون معها طويلا دون أن يتقدم ضدها بتهمة كهذه. وهل المقصود هو اتهام هذا الجيش وحده؟ وعليه، فكل هذا انتشر إلى درجة أن المتمرد (عبد القادر) كتب إلى الكرارمة، ليلتحق بهم متهما ايانا بالخيانة وسوء النية !

عند توصلك بهذه الرسالة، أعمل على رأب الصدع، واعتقل الجيلالي بن العواد الذي أضل نفسه. وضعه أمام الأمر الواقع إزاء سلوكه. لقد انخدعت له، والمؤمن ينخدع تعففا. ونحن نعلم أكثر من أي أحد فساد مزاجه، وانحرف طبعه، والكراهية التي تتضوع من لسانه.

أما ما يخفيه قلبه فهو أكثر بشاعة. وطبيعته الفاسدة ظهرت من خلال أقواله وأفعاله حينما كان قائد الرحى[1]، وابن عمه عاملا. كيف يكون رد فعله اليوم، وقد عزله وابن عمه عن وظيفتهما، فتضاءل نفوذهما، والرغبة في الانتقام لا تنقضي أبدا ؟ قال رجل السياسة (رجل الدولة) :"لا تعتقد أنك في مأمن من الذي يرغب في الانتقام منك، فالنسيان الذي يراكمه تعاقب الأيام لا يمنعه من التذكر".

والحالة هذه، فالأمر يتعلق بعقاب قريب، وهو السبب فيما لحق ابن عمه. لقد كان أكثر جسارة ينساق مع التعسف، والطغيان، والعقوق، والتمرد. ويتهمه ابن عمه بكونه السبب في العصيان، وفقدان القيادة. عاقبه بقسوة حتى يكون مثلا لغيره وعبرة. وقم بتحر لمعرفة المذنبين من أهل سوس. اعزل القواد وعاقبهم عقابا، ثم عين مكانهم رجالا تختارهم بروية، لأن الفوضى تأتي دائما نتيجة أخطاء القادة.

يجب أن تهتم برد ما سلب من الكرارمة وحلفائهم من القبائل العربية. فما تم العثور عليه، يجب أن يرد كما هو، أما ما يتم الإقرار بسلبه دون العثور عليه، فيجب تقديره، وأداء ثمنه من أجر أهل سوس[2] الآثمين. وإذا لم يكف أجر شهر، يتم خصم أجر شهرين أو أكثر إذا كان ذلك ضروريا. اعتقل قواد الأوداية[3] وعوضهم بآخرين، وقل لهم

1. وضعية تماثل درجة نقيب (قبطان)
2. يتعلق الأمر بالقبائل العربية المسماة الكيش التي تقوم بالخدمة العسكرية مقابل منافع خاصة.
3. نفس الشيء.

:"إلى حدود اليوم لم ينغير وضعكم إزاء والدي، فأنتم دائما منغمسون في أعمالكم وفوضاكم، ومن أجل ذلك طردتم وعوقبتم عقابا صارما." استعن بكل صرامتك لإعادة الآثمين، قولا وفعلا، إلى سواء السبيل، من أجل التخفيف عن الضمائر من ذكرى هذه الحادثة المؤسفة، وإبعاد التهم الموجهة إلى الجيش. أما بالنسبة لكيش عبيد البخاري، وفاس، فقد برأهم بوزيان من التهم الموجهة إليهم. أكتب إلى حمان بن بلعباس وألزمه بمقاطعة بوزيان وأتباعه مقاطعة تامة، من المحتمل أن يؤسس مجموعة منفردة تابعة له. أحرص على إشعاره بأنك غير منحاز لجانبه، ولا تؤاخذه على ذلك. ولكن في واقع الأمر سيقوم بما يخالف ذلك. وهكذا سيعمل على إعادة السكينة إلى النفوس والطمأنينة بين القبائل التي تقبل بخدمته والامتثال لأوامره، فإن لم يتسرع بوزيان كما ترجوه، فلن يعود الهاو، في القبائل، ولن ينجح في التغلب على مشاعر الكراهية التي تكنها له، والتي تعتبره قائدا عليها، وتعمل تحت أوامره. هذه السياسة التي يجب إتباعها حاليا للتمكن من إخضاعها وإعادة النظام والطمأنينة إليها.

يجب أن يوضع فرس من أصل رفيع رهن إشارة الشيخ بوزيان، فهو لا يجد مركبا لائقا في منطقته. ستجد هذا المطلب في رسالته. يجب أن تقدم له هدية من هذا النوع في المستوى المطلوب لإبراز قيمته الخاصة. لأننا لا نتوفر على شخص أكثر إخلاصا منه في هذا البلد، ولا خادما أحسن منه واصدق. قدره تقديرا خاصا، ووفر له العون والمساعدة. قال سيدنا علي[1] رضي الله عنه : "شخصان لا يمكن لي نسيانهما، الذي كان مساعدا لي، والذي قدم لي العون." وإذا كان لبوزيان أعداء يكرهونه، فذاك راجع إلى إخلاصه وحماسه التام تجاهنا،

1. الخليفة علي صهر الرسول وابن عمه.

ورغم عيوبه فهو الأفضل. وعلى كل حال، فالأعور أحسن من الأعمى"[1].

إذا بعثنا إليه من هنا فرنسا، فسيصل في حالة يرثى لها، لهذا نأمرك أن تمنحه اياه أنت بنفسك. والسلام.

في 22 رمضان المعظم عام 1262 (13 سبتمبر 1846)

23

(23 سبتمبر 1846)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد الله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

ولدنا البار الارضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بما ثبت عندك على لسان العربي بن كَرّوم في أمر المحلة مع الكرارمة، وأن ما كنت أخبرت به قبل، من بدء أهل سوس والأوداية وأهل الغرب في نهب محلتهم، لم يكن من ذلك شيء. وأنهم لما فروا وتركوا بعض الإبل بأحمالها حازوها. وأما الإبل فردت لهم، وأما الزرع ففرق على المحلة لاحتياجها إليه عند عدم تسوق القبائل بعد الوقعة. فقد علمنا حال العربي بن كروم، وأنه لا شهوة له، ولا غرض، لبعد بلده وتغربه، وعدم معرفته بتلك القبائل، ولكنه لم يحضر الوقعة، وإنما سمع ذلك. وشرح الخبر في كتاب الشيخ بوزيان الذي وجهنا لك برمته، وعلمنا نفع المحلة التي وجهت لابن عمنا مولاي إبراهيم، وظهور أمرها في تلك الناحية، بانكسار شوكة الفتان[2]، ووهن جانبه حسبما ذلك بكتاب

---

1. النص العربي جاء فيه: الرجل ذو العينين الدامعتين والبصر الضعيف خير من الأعمى.
2. المقصود: عبد القادر الجزائري.

ابن عمنا المذكور. وابن عبد المالك فذاك ما نبغي نسأل الله أن يكفينا والمسلمين شره. وما بلغك عنه من الندم، والتبري، والرجوع عما كان عليه، وأنه يتاسف، وينسب ما وقع فيه للكرارمة فلا تثق بذاك، ولا تعتمد عليه، فإنه دجال من الدجاجلة، قلبه في جهة، ولسانه في أخرى. ولا عهد له، ولا ميثاق يقف عنده. ولعل ذلك منه دسيسة، وسعي في الأفساد لقلوبنا على الكرارمة، ليزيد في نفورنا منهم، ويحقق لهم ما زرعه في قلوبهم قاتله الله، يجد في حسم مادته وإبطال شعوذته ومعاملته بنقيض مقصوده. ولا تغتر بما يفوه به، من لا تمييز عنده من نسبته للضعف والوهن، فإن أمره كذلك. ولكن يتوصل بحيله ومكائده وتلبيسه، بما لا يتوصل إليه بالقوة والعدة والعدد. ولو كان حاله على ما وصفت، ظاهره كباطنه، ما طال أمره، واتصل شره.

ولا تقصر في تحريض العمال المقابلين والقبائل لتعجيل طرده، وأخذه، وإبطال كيده. وضعف لهم أمره، وقلل فائدتهم في العجز عنه، وأيقظ حفائظهم، وذكرهم عاقبة مكره، وما يضمر من نكره، ولا تالوا جهدا في ذاك حتى يأخذه الله ويرد كيده في نحره، ويجعل دائرة السوء عليه، فإنه أعدى الأعادي للمسلمين، وفتنته أكبر عليهم من فتنة المشركين، لعدم وفائه بعهد، ولتعميته في كل عقد وقصد، وإتيان هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه أهلكه الله. ولا تال جهدا في إمداد المحلة بكفايتها، فإن بذلك تعان على عدوك. فدين الناس اليوم هو الطمع، وقد كان الناس قبل يجوعون ويعرون ويصبرون رجاء الثواب، واليوم الناس همتهم في بطوهم. وقد قال صاحب السياسة: وكلما جمعت كفاك من نشب وصامت ولو أن القطر حاذاه برده في بره إلا غمدا

عنك وقل ليوم سوء صرفنا ما جمعناه[1]. والله ولي توفيقك وإرشادك وهاديك إلى سبل رشادك بمنه وفضله والسلام.

في 02 شوال الأبرك عام 1262 (23 سبتمبر 1846)

24

(05 ديسمبر 1846)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد الله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

ولدنا البار الارضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعرفنا مضمنه، وعلمنا ما (ينمت) من أمر الفتان عبد القادر، وما شرحت من حاله ومن رجوع (الرآبيدة) عليه الذين كانوا يأوون إليه من شدة وشوم بغيه، وما أجمع عليه الكرارمة من عداوته والتضييق عليه. وأن السبب في تأخير أمره هو ما كان عليه قبائل حوز تازة من الاضطراب. وقد أصلح الله أمرهم. وبما وقع له من القتال مع المطالسة، وفراره وسطهم وإيقاع عرب الأحلاف (بفله) مع البوحميدي[2] حسبما ذلك في الكتب التي وجهت داخل كتابك من عمال تلك النواحي. فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، قال الله سبحانه : ولا يحيق المكر السيء إلا باهله[3]. وقال : فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا

---

1. بمعنى: عليك ببذل ما جمعت، لتجد المؤازرة عند احتدام الأمور. وهكذا ستفرح لأنك استفدت مما ادخرت.
2. مساعد (أحد ضباط الأمير (عبد القادر).
3. قرآن.

دمرناهم وقومهم أجمعين[1] الآية. فقد كنا نظن إعانته وإيواءه إعانة للإسلام والمسلمين، فإذا به أعدى الأعادي لهم. ومن خدعنا بالله انخدعنا له، ويحق الله الحق، ويبطل الباطل. فلا بد قف في التحريض على التنكيل به. ولا تقصر حتى يريح الله منه العباد، وينقطع أثره من تلك البلاد والسلام.

في 16 ذي الحجة الحرام عام 1262 (05 ديسمبر 1846)

24

الحمد لله وحده — وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

---

1. قرآن.

25

(03 أفريل 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ولدنا الأبر الارضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد أخبر خديمنا القائد الميلودي بن عراش[1] أن بنتا له اسرها النصارى، ولا زالت عندهم، وطلب تسريحها، فبوصول كتابنا هذا إليك، مر قائد وجدة أن يكاتب كبيرهم الذي بتلمسان، أعادها الله دار إسلام، في تسريحها وتوجيهها إليه. فإنه الآن في جوارنا، وفي ظل دولتنا. وقل له: يقول لهم أن هذا جعل عاره على فلان، ولاذ بجانبه على ذلك. والسلام.

في 16 ربيع الثاني عام 1263 (03 أفريل 1847)

25

1. مساعد (ضابط) قديم للأمير لجأ إلى السلطان.

26

(20 ماي 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ولدنا البار الارضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك وصحبته كتاب بوزيان وبن عبد الرحمن وولد ابا محمد. تتضمن هذه الكتابات وعد الفتان عبد القادر بالخروج إلى الصحراء حسب شروط أشاروا إليها، والتزم ابن عبد الرحمن بها. وقد سبق مرارا أن تقدم بنفس الوعود بمغادرة التراب المغربي دون الوفاء بذلك. واعتقد أن هذا ليس إلا تمويها من لدن عبد القادر من أجل ربح الوقت الكافي لتنفيذ مخططاته. وعليه، فتجب مراقبته بكل يقظة. قارن هذه الاقتراحات مع الأخبار المقدمة من لدن قنصل فرنسا في رسالته التي أرسلناها لك، فهو على اطلاع جيد بأمر عبد القادر، لأن له في كل مكان مخبرين وجواسيس يهتمون بالأمر، وله رغبة كبيرة أكثر من غيره القضاء عليه، والحدث سيؤكد ما يقول وليس غيره. وبنفس الأسلوب كاتبنا عبد القادر في أيامه الأولى حينما سمحنا له بالدخول إلى وسط الإمبراطورية أو مغادرتها مستعينا بالمراوغات والأكاذيب قائلا بأن الطاعون أتى على كثير من أتباعه حتى وصل به الأمر إلى افتقاد ما يكفي من الرجال ليدفن الموتى. ووعد بتنفيذ وعوده بمجرد توقف الوباء عن حصد الأرواح.

26

أضاف أنه إذا ما حاول هو أو أحد أتباعه إثارة الاضطرابات التي تسيء إلى حالة الهدوء، فإنه يستحق عقاب الأورانين[1]. وقد استغل الوقت الذي ربحه من أجل استمالة عقول القبائل للدفع بها للقتال إلى جانبه، أخذه الله بمكره ومحقه بخداعه وبكيده، وهو القادر على كل شيء.

1. قبيلة عربية ارتد أهلها.

إن الأهم في الأمر كون العارف بالأمور والقريب من الأحداث يرى ما لا يرى الغائب. وما نقوله لك يؤخذ على سبيل الإخبار والتنبيه. تحدثت عن معركة وقعت بين أولاد يحيى من بني حسان وكان وراءها الميلودي الذي أثار القسم الذي أداه من أجل القيام بهذه المعركة التي حضرها بنفسه، والتي خسر فيها فريقه خسائر معتبرة. وهذا ما أشار إليه الحاج محمد ابن العميري في رسالته. لكن الميلودي وغيره ذكروا العكس، حيث أشاروا إلى أن العميري وفرقته نزلت بهم هزيمة. وأن العميري لم يبق معه إلا القليل من الرجال. وهذه القضية كان سببها طلب مساعدة أهل زمور. حينما كان أولاد يحيى وحيدين لم يكن أحد من بني حسان يرغب في محاربتهم، لكن منذ أن جاء ولد العميري مع أهل زمور، كان رد فعل بني حسان عنيدا، نجم عنه خسارة في الرجال والخيول تكبدها أهل زمور. وتواصلت بينهما الحرب بدون نتائج فاصلة.

لقد أطلعتني على مزاعم الميلودي المغلوطة. ففي الحقيقة، نشبت المعركة بموافقته وبأمر منه، حيث أن جميع الفصائل شاركت فيها، وواجه بعضها بعضا. هذه الطريقة تقترب من أسلوبه في تحركاته وتصرفاته، لأنه لم يشر إليه قط. ولا نعتمد إلا على ما نتوصل به من قبلك.

وأخبرتنا أنك قدمت المساعدة لولد العميري بوضعك رهن إشارته خدامنا من أزغار وتكنه. وكلفته بمهمة، بذل كل جهود للحفاظ على الهدوء، ومنع عودة الاضطرابات والفوضى. وقد كان تدخلك هذا في محله، لأننا نعمل من أجل ألا يظهر أي انقسام لدى بني حسان القبيلة المخزنية التي تخدم الحكومة، خصوصا في الظروف الراهنة التي ننتظر منها ومن غيرها المساعدة والخدمة. لأن إقرار النظام، ودفع القبائل للقيام بالواجب هو الشرط الأول من بين الشروط المفروضة لتنفيذ مشاريع الحكومة، وانتصارها على الأعداء.

إننا نبعث إليك برسالة المبلودي لتطلع على أقواله. وإذا كان أمر انقسام بني حسان وعدم اتفاقهم واقعا، فيجب تعيين قائد على رأسهم، ليس منهم، كما أشرنا بذلك من قبل. أعرهم اهتمامك، واعمل على أن يقبلوا قيادة بوسلهام بن علي إذا كنت ترى صواب هذا الاقتراح، لأن هذا الرجل يمتاز بالرزانة مع مراكمته للتجارب. والاستعانة به على قيادة بني حسان من الأولويات التي لا محيد عنها، دون إغفال ما يجنيه المخزن وراء ذلك. وهذا الأمر يعنيك بالدرجة الأولى إذا كنت ترى أنك ستجني منه الثمار الموجودة. وعكس هذا، فأنت في عين المكان، وتعرف جيدا ما يروج، لأخذ القرار المناسب. إن زماننا حقبة انحطاط الرجال: فهم يكذبون دون حياء، ولا يستحق أحد منهم الثقة. ولا يمكن الأخذ بمعلوماتهم، لأن كل واحد منهم يكتب طبقا لمصالحه ورغباته: فلا تعر اهتماما لما يقولون إلا بعد التحري والتأكد المبني على الحقيقة. لأن الكذب والتضليل تفشيا جيدا، ولم يعد هناك شخص يشعر بالخجل، إذا انكشفت خسته. "إنا لله وإنا إليه راجعون"[1] نرجوه تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم، ويوجهنا وجهة حسنة بعفوه وكرمه، والسلام.

في 03 جمادى الثانية عام 1263 (19 ماي 1847).

وفي حاشية الرسالة:

بعدما انتهينا من هذه الرسالة، توصلنا بمراسلة من بوسلهام بن علي مصحوبة برسالة من قنصل فرنسا، نبعث بها إليك. عليك أن تطلع على هذه الرسالة الأخيرة، وتقول لنا ما تحتويه في الحقيقة[2].

---

1. قرآن.

2. لم تفهم جيدا، بدون شك، لأنها كتبت بعربية غامضة.

لقد فهمنا نوايا الكرارمة، من خلال ما ذكره ابن عبد الرحمن في رسالته. ويتعلق الأمر بالأشياء التي طلبها منهم الفتان (عبد القادر)، والتي يعملون على إيجادها وإيصالها إليه. هدفهم هو استعمال الفتان لإخافتنا، ولجوءهم إلى التمويه بإقحامه كذريعة للعيش في حالة فوضى: "قاتلهم الله أنى يوفكون"[1] احذر أن تقبل منهم شروطا مطبوعة بنيتهم السيئة، أو أن توافق على مشاريعهم المصطنعة.

كن كثير اليقظة تجاههم، إن رجال زماننا يميلون أكثر إلى الفوضى. حذار حذار، من أن تنخدع- لقد قيل في العرف القديم : "الحزم يساوي الحذر" هداك الله إلى سواء السبيل. والسلام.

في 04 جمادى الثانية عام 1263 (20 ماي 1847)

27

(01 جوان 1847)

رسالة من سيدي محمد إلى أبيه السلطان

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

بعد تقبيل الأرض أمام سيدنا، وأداء ما يجب لعلي مقامه، يعلم سيدنا أيده الله ونصره، أن ما كان كتب لنا به عامل وجدة من خبر الرومي دمره الله، وخروجه للصحراء، ووقوع الهزيمة عليه، واستيلاء المسلمين على ما بيده، والهيناه لسيدي، قد ورد الخبر من عند عامل وجدة بصحة وقوع ذلك به. وها كتابه يصل سيدنا بذلك. وقد ورد

1. قرآن.

الخبر أيضا من تافيلالت بأنه ظهر في أسواقها سلبه من العدة وغيرها. نسأل الله أن يزيد من ذلك ويكفي المسلمين شره آمين[1]. وخبر الشيطان عبد القادر، كنا قدمنا لسيدنا، وهو أن أمره اضمحل، وعزم على الخروج للصحراء، وجعل يقدم ضعفاء، دائرته أمامه، وارتحل من المطالسة إلى بني تزين، ومنهم إلى بني وليشك، وبني سعيد، يوهم أنه يخرج لصبرة[2]، ومنها للصحراء. وذلك لما كان يسمع به من قدوم سيدنا لهذه النواحي. لأنه متحقق بأن ذلك المحل لا يسعه إن قدم سيدنا. ثم أنه لما بلغه أن سيدنا لم يظهر له الآن تحرك من الحوز[3]، بقي بمحله الذي نزل به أخيرا، بين بني وليشك وبني سعيد. ولا يخرجه منه إلا القهر. وقبائل الناحية التي هولها شاع فيهم النفاق. وفيهم الصالحون وغيرهم. والعدد الذي ذكر الرومي، دمره الله، في كتابه الذي وجه لنا سيدنا أنه مع الشيطان المذكور، لم يبلغ ذلك العدد الذي ذكر، وإنما ذلك من زيادات النصارى، دمرهم الله، وتمويهاتهم. فليس معه على ما ثبت عندنا إلا نحو الثلاثمائة من الخيل والستمائة مت الرماة. ولابد أن ينحاز إليه الشياطين من قبائل تلك الناحية.

إذ لا تخلو قبيلة من شياطين يكونون بها. وقد كتب الرومي كتابا للقائد الأحمر، في شأن الفتان المذكور، ها هو يصل سيدنا. وهو مخالف للكتاب الذي وجه لنا سيدنا، حسبما يقف عليه سيدنا. وقد حصل له منه تشويش أضر به من ناحية، ويريد الراحة منه بما أمكنه. ويصل سيدنا كتاب وجهه الشيطان المذكور للأحمر. وقد طلب الأحمر توجه

1. إشارة إلى المعركة التي كانت يوم 10 جانفي 1847 بين أولاد جلال (واحة جنوب بسكرة) وجنود الجنرال هيربيون (Herbillon) حيث حلت خسارة كبيرة في الفريقين المتحاربين.
2. موضع يوجد بملوية الوسطى.
3. يطلق الإسم على ضواحي مراكش.

27

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

بعد تقبيل الأرض أمام سيدنا وأداء ما يجب لعلي مقامه يعلم سيدنا أيده الله ونصره أن ما كان كتب لنا به
عامل وجدة من خبر الروميين من كون اللعين وخروجه للصحراء ووقوع الهزيمة عليه واستيلاء المسلمين على ما بيده وافتناء ليس
فورود الخبر من عند عامل وجدة بصحته ووقوع ذلك به وما كتبنا به بعد لسيدنا بذلك وفورود الخبر أيضا من قبيلات بأن اللعين
جا بسوادهم شاكيين من الغزوة ويخبرها ما نسأل العدد إن بري من ذلك ويكتبوا المسلمين به اليوم وخبر الشيطان عبد القادر [illegible]
لسيدنا ومولانا أن المحلة ويعزم على الخروج للصحراء ويجعل يعدم ضعفاء وأرى قد أمامه وارتحل من المحالة التي بين [illegible]
ومنهم إلى ما بين بني وليشك وبني سعيد ويوهم أنه يخرج للصحراء ومنها للصحراء وذلك لما كان يسمع به من قدوم سيدنا لعمالته
النواحي لأنه متحقق بأن ذلك المحل لا يتبعه أن قدم سيدنا ثم إنه لما بلغه أن سيدنا لم يبعثهم لهذه الجهة من الحور بعض محلة الشرق
نزل به أمر بني وليشك وبني سعيد ولا يخرجه منه إلا الفهم وقبائل الناحية التي هو بها شاع فيهم النعاش وفيهم الصالح ورد
وغيرهم والقدرة الذي ذكر الروم ونزل الله به كتابه الذي وجه لنا سيدنا أنه مع الشيطان المذكور لم يبلغ ذلك القدر الذي ذكر وإنما
ذلك من زيادات النصارى ونزهم الله ونفوبهما وليس معه على ما ثبت عندنا إلا نحو الثلاثمائة من الخيل والستمائة من الرماة وإنما
يخاف إليه الشياطين من قبائل تلك الناحية أو لا تخلو قبيلة من شياطين يكونون بها وقد كتب الروم كتابا بالعفو إلا من جاء للعتاب
المذكور ما هو بصل سيدنا وهو مخالف للكتاب الذي وجه لنا سيدنا حتى يقف عليه سيدنا وقد حصل له منه تشويش لقربه من ناحية
وبراح أخذ منه بالمكنه ونصل سيدنا كتاب وتحته الشيطان المذكور للأمر وهو نعلمه الأمر قوجه المدد إليه لكون
هذا أبان ذلك لنستعين به على طرد الشيطان وقبض الواجب من قبائل تلك الناحية وقد وجهنا له العام من الخيل
والأثر نموضه ورد ابن الحاج الوليشكي بكتابه يطلب فيه زيادة المدد ونحن نيسر له خمسمائة من الخيل وأربعمائة من
العسكر البقاء فقد اجتمع منه خمسمائة نبقيه منها أربعمائة وانفينا منها مائة نسأل الله ببركة سيدنا أن يقتص بهم
غرض سيدنا أمير وقد كنا أردنا أن نوجه منه المحلة للحياينة حتى يؤدوا واجبهم ومن استوجب الزجرة تقبض منه ثم
ننتقل إلى ما بينهم وبين غياثة لأنه بلغنا أن غياثة عندهم زروع كثيرة في هذه السنة وإن أعين الشيطان المذكور كثيرة إليه
توجيهه لتلك الناحية التي هو بها [illegible] أن يشاء الله أولى واجبهم والأهم المقدم والخيل التي معنا من العسكر
وجهنا بعضها وتركنا البعض وأما خيل الجيش فلم يبق منها إلا شيء قليل لا عندنا ولا بمكناسة فتركناها لما [illegible] والعبد
مبارك في عمر سيدنا أمير والسلام في 6 جمادى الثانية عام 1263 [illegible]

المدد إليه، لأن هذا
الواجب من قبائل
نموضه، ورد ابن الحـ
نيسر له خمسمائة
اجتمع منه خمسمائة
بركة سيدنا أن يقتص
هذه المحلة للحياينة.
منه، ثم ننتقل إلى ما
كثيرة في هذه السنة
لتلك الناحية التي
والأهم المقدم. و
البعض. وأما خيل
بمكناسة، فتركناها

الحمد لله وحـ

ولدنا الأبر
عليك ورحمة الله

1. الجيش (الكيش) ينك
تستفيد منها.
2. يعني: فاس.

المدد إليه، لأن هذا أبان ذلك ليستعين به على طرد الشيطان، وقبض الواجب من قبائل تلك الناحية. وقد وجهنا له ألفا من الخيل. وإثر نهوضه، ورد ابن الحاج الوليشكي بكتابه، يطلب فيه زيادة المدد. ونحن نيسر له خمسمائة من الخيل، وأربعمائة من العسكر البيضاء. فقد اجتمع منه خمسمائة، عينا له منها أربعمائة، وأبقينا هنا مائة. نسأل الله بركة سيدنا أن يقضي بهم غرض سيدنا آمين. وقد كنا أردنا أن نوجه هذه المحلة للحياينة، حتى يؤدوا واجبهم. ومن استوجب الذعيرة تقبض منه، ثم ننتقل إلى ما بينهم وبين غياثة. لأنه بلغنا أن غياثة عندهم زروع كثيرة في هذه السنة. فإذا بجيش الشيطان المذكور كثر. فرأينا توجيهها لتلك الناحية التي هو بها، لأخذه وتمزيقه، إن شاء الله، أولى وأهم، والأهم المقدم. والخيل التي معنا من المسخرين، وجهنا بعضها، وتركنا البعض. وأما خيل الجيش[1] فلم يبق منها إلا شيء قليل لا هنا[2] ولا بمكناسة، فتركناها لما لابد منه. والله يبارك في عمر سيدنا، آمين. والسلام.

في 16 جمادى الثانية عام 1263 (01 جوان 1847)

28

(14 يونيو 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد، أعانك الله وأصلحك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بصحة

---

1. الجيش (الكيش) يتكون من قبائل المخزن التي تقوم بمهام عسكرية مقابل بعض المنافع التي تستفيد منها.

2. يعني: فاس.

ما كنت أخبرت به قبل من وقوع الكرة على عسكر الرومي عند تحركه للصحراء الشرقية، ورجوع دائرة السوء عليه، حسبما شرح ذلك عامل وجدة، في كتابه الذي وجهت. زاد الله الكافرين هلاكا وبوارا، وألبسهم ذلة وصغارا، وأخذ منهم للإسلام ثارا، بمنه وفضله، آمين. وقد علمنا ما شرحت في أمر الفتان، وما هو عليه من الخداع والتلون في ألوان المكر، والتقلب في قوالب التلبيس، قبح الله سعيه، وعجل نعيه، وقد وصل كتابه للأحمر. وفي أبيات زهير[1] التي ذكر آخر كتابه ما يعرب عن فساد اعتقاده، ويشير إلى نزعة تعريض وايعاد. رد الله كيده في نحره، وأهلكه بنار مكره. فقد علمنا قبل، أن ما عقد مع الكرارمة من الخروج، إنما هو مكيدة وخديعة وتمويه عليهم، لأنه يظهر ما لا يبطن فجد في أمره، وحرض الأحمر على الجد في اجتثاث أصله، والسعي في محو شره. فقد علمنا ما أمددته به أولا وثانيا. وبعد ما كنت أردت توجيه هذه المحلة للانتصاف من مفسدة الحياينة، وأخذ الحق منهم، وأكل صابة غياثة التي بلغت صلاحها، رأيت أمر الفتان آكد، ودفاعه أهم، فقد أحسنت في ذلك، والأهم المقدم. وأمر الحياينة وغيرهم لا يبعد بعد قضاء هذا المهم الأكيد. وفي العدد المذكور مقنع ومقمع أن حصل الجد، ووفى أمل صلاح تلك القبائل بما عاهدوا الله عليه. فاوض الأحمر بالتحريض والحرص على قضاء الأمر من غير طول يوجب الملل والضجر. وليتحرز من مكائد الفتان وخداعه، ويجد في طرده وإبعاده، ويقابله في تلوناته بما يبطل سحره، فإنه أقوى منه كيدا، وأطول منه في الدهاء يدا، وأكثر منه عدة وعددا. فقد أخبرت بما ثبت عندك من أوباش اتباعه، خلاف ما أخبر به الرومي في كتابه

1. شاعر جاهلي، صاحب إحدى المعلقات.

28



وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه



[illegible]

الذي وجهنا لك. فأنا إنما نطالعك بذلك، لتكون من الأمر على بال، ولتركب في شأنه العناية والاهتبال. ولعل الرومي إنما يفعل ذلك أيقاظا للعزائم، وتحريضا على محو شره، وحرصا على الراحة منه، والصدق الذي نعتمد عليه هو ما يرد من عندك. ولكن الإخبار تفتح البصائر والأبصار. وقد علمنا ما كتب به "قونصو" الفرنصيص، قاتله الله، للأحمر. وما أشار به من بذل المال لاستهواء العامة، واستجلاء جدهم بالطمع. وأن احتاج إلى طمع ليستعين به يعلمه ليوجهه له بهذا من العدو، ومكيدة تحتها دسائس يتفطن لها الفطن اللبيب. فمره بأن يجيبه بأنا غير محتاجين لذلك، ولا متوقفين عليه. وعندنا والحمد لله من خزائن فضل الله ما يغني عن المخلوق. مع أنا لا نعتمد على هذا العرض الفاني. ولا تستهوينا زهرته. وإنما غنانا بديننا. وقوتنا بيقيننا الذي هو الكنز الذي لا ينفذ، والذخر الذي لا يفنى. ولا نقاتل بالعدد والعدة والسلاح، وإنما نقاتل بالدين واليقين. وننصر بالله وهو خير الناصرين. وفي بذل الطمع في مثل هذا إفساد لطاعة القبائل، وتغيير لطباعها، وإخراجها عن دائرة الخدمة، وفتح باب لا يسد، وخرق لا يرقع. وامنع الأحمر من مكاتبة العدو رأسا.

فإنه أن فتح له هذا الباب، يبيع دينه بالطمع فضلا عن المسلمين، لما نعلم فيه من الحرص والهلع. فليس مثله ممن يرشح لخطاب النصارى. ولا ممن يحسن إجابتهم. وليس من خيل هذا الميدان. وإنما يؤذن في خطابهم لأهل الدين والنزاهة وعلو الهمة. الذين يسعون في إظهار عزة الإسلام، وقوة جانبه. وأندب لكل مهم أهل بلواه. والسلام.

في 29 جمادى الثانية عام 1263 (14 جوان 1847)

29

(18 جوان 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ولدنا البار سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك والكتب التي معه، وعرفنا مضمنها، وعلمنا ما صدر من الغادر الناكث عبد القادر، أهلكه الله بغدرته، وأخذه بحوله وقوته، من الضرب ليلا على المحلة، التي وجهت للريف، فيمن معه مع قبائل الريف. فأنا لله وأنا إليه راجعون[1]، جعل الله ذلك حدا لباس. فقد كنا نحذر ذلك، ونتوسمه حين أدخلت في ذلك، وخصوصا الشيطان التوزيني، قبحه الله. فإنه كان يحتال على هذا من قبل بتفريق كلمة القبائل الريفية، وإنشاء الشنآن بينها، ليتوصل إلى هذا. وما كان يكتب لك به هو وغيره من الحض على توجيه المدد في إبانه، واجتماع صالحي قبائل الريف على الدفاع للفتان عند وروده، ومعاينة الجد، إنما ذلك مكر وخداع قاتلهم الله أنى يوفكون[2]. وكل هذا بقضاء وقدر. ومن خدعنا بالله انخدعنا له. فإن القبائل الريفية ذوات عدد وعدد[3] وبأس شديد، مع كثرة الغدر والإبطان للمكر. ولذلك كان عمنا رحمه الله[4]، لا يوجه لها إلا المحلة المعتبرة، التي تحتوي على الأربعين ألفا فما قاربها، حذرا من وقوع مثل هذا.

---

1. قرآن، يرتل عند العزاء أو إذا حلت مصيبة.
2. قرآن.
3. ورد خطأ في النص حيث تكررت كلمة "عدد" (ونحن نعتقد أن الكاتب أراد بالكلمة الثانية "عدة" أي/ أدوات عدد وعدة وبأس... المترجمان).
4. السلطان مولاي سليمان الذي خلفه ص 1882.

29

الحمد لله وحده — وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه



ولدنا الأرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابك
والكتب التي معه وعرفنا مضمنه وعلمنا ما صدر من العدو [illegible] أهلكه الله بعزته وأخزاه
بحوله وقوته من الضرب ليلا على المحلة التي وجهت للعدو [illegible] مع قبائل الريف فإنا لله وإنا إليه راجعون
جعل الله [illegible]
[illegible]
وما كان يكتب لنا به [illegible] على توجيه [illegible] وامتناع طائفة قبائل الريف على الرجوع للقتال
[illegible]
[illegible]
رحمه الله [illegible] الحلة المعتبرة التي تحتوي على [illegible]
يلتقطون ما سهل ولا يوغلون فيه فكيف بألف واحد مع الأحمر الذي لا يعرف اللسان ولكن لا عهدة عليك في ذلك
إنما العهدة على هؤلاء المتربصة الذين سعوا في هذا وخدعوك بالإخبار بغير الواقع حتى ارتكبت ذلك [illegible]
وقد كانت واقعة النصارى بوجدة أخف لأن النصارى [illegible] وأقلع ورجع أدراجه [illegible]
[illegible] ولكن الاعتماد على حول الله وقوته والمرجع إلى [illegible] وعنايته فإنا
سبحانه عودنا النصر على الكافرين والظهور على الغادرين وهو حسبنا ونعم الوكيل والحملة التي عزمت
[illegible] من الواجب [illegible]
[illegible] والسلام في 4 رجب الفرد الحرام عام 1263

وبعد ذلك يلتقطون ما سهل، ولا يوغلون فيها. فكيف بألف واحد مع الأحمر الذي لا يعرف اللسان؟ ولكن لا عهدة عليك في ذلك، إنما العهدة على هؤلاء المتربصة الذين سعوا في هذا، وخدعوك بالإخبار

بغير الواقع، حتى ارتكبت ذلك، وتابعتهم. وقد كانت واقعة النصارى بوجدة[1] أخف، لأن النصراني فعل ما فعل، وأقلع ورجع أدراجه. وهذه الواقعة هي الطامة لظهور هذا الشيطان المتلبس.

ولكن الاعتماد على حول الله وقوته، والمرجع إلى التماس نصره وعنايته، فأنا سبحانه عودنا النصر على الماكرين، والظهور على الغادرين، وهو حسبنا، ونعم الوكيل[2]. والمحلة التي عزمت على توجيهها لتازة، عجل بها، فإنها من الواجب لعمارة الحوز، وحمايته وإظهار المخزن فيه. ونحن في إثره إن شاء الله تعالى. والله يعينك. والسلام.

في 04 رجب الفرد الحرام عام 1263 (18 جوان 1847)

30

(05 جويلية 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد، أصلحك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعرفنا مضمنه، وعلمنا عدم تأثر القبائل بواقعة الريف، وأن القبائل كلها عربا وبربرا في غاية السكينة والاشتغال بجمع زرعهم، وظهر لك تعجيل قدومنا قبل فراغهم من جمعه. فنحن في أثره إن شاء الله تعالى. فأنا نعرف أنه ما حملهم على السكينة إلا الشغل بجمع أقواتهم وترقبهم

1. إشارة إلى هزيمة إسلي.
2. قرآن.

لقدومنا. وسيأخذ الله كل من حاد عن سبيل الاستقامة، ويندم حيث لم تنفعه الندامة، بحول الله وقوته. وعلمنا ما تقدمت به لولد أبا محمد من الاحتراس، وإذكاء الجواسيس والعيون على الاطلاع على أحوال الفتان، والعلم بداخلة أموره. فقد أحسنت في ذلك، أصلحك الله. غير أن هذا من وظيف كل قائد محلة، ومتوجه لغرض. فكيف بمن يقابل عدوا ويكابد ثائرا؟ فإن اليقظة والحزم لا ياتيان إلا بخير. وذلك مسطور في كتب السياسة، ومغروز في طباع أهل الرياسة. فزد في ذلك، فإن الناس اليوم كالبهائم، إن لم يساقوا لما يراد منهم، لا يسوقون أنفسهم. وما ذكرت في شأن المرابط محمد بن عبد الرحمن التوزيني، من سؤالك عن حاله مع الفتان[1]، وتحقق عداوته له، عرفناه، ونستغفر الله مما ظنناه به. غير أنا حيث نزلت هذه المصيبة[2]، مع ما كان يكتب لك ويعد ويمني مع ما تقدم من شكاية عمال الريف به، ولمزه، حملناه على سبيل الغفلة والتفريط، وظننا صدق ما كان يرفع العمال. وحيث الآن ظهر نصحه وقيامه عليه، وظهور برهان ذلك باكل الفتان عزيبه، فقد ارتفع (المين)، وظهر صدقه لذي عينين. وأخبرت أن الأحمر هو الذي استعجل الأمر قبل أوانه، واستبد برأيه، حيث رأى بعض الضوء ووهن الفتان، حتى أنه لم يعلم المرابط التوزيني بما أجمع عليه من الضرب.

---

1. كلمات الفتان والمجرم في هذه المراسلة تعني الأمير عبد القادر.
2. إشارة للمعركة الليلية التي تشير إليها المراسلة رقم29، والتي كانت قرب قصبة سلوان ومات فيها القائد الأحمر.أنظر بيليبسي دو رينو (Pellessier de Raynaud) باريس، دبمان،1845، جزء الثالث، ص:297-298.

30

الحمد لله وحده — وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه



وكون الحاج محمد الوليشكي غائبا عندك، على زيادة المدد بذلك الذي أداه إليه اجتهاده، وقد أدى ما عليه. وإنما أفسد عمله فرار من معه. وعلمنا قيام المرابط التوزيني في جمع الخيل المنحازة لبعض تلك القبائل، وتوجيهها لتازة. وقام هو والحاج محمد الوليشكي على ساق الجد في تشتيت شمل المفسد، وإبطال كيده. فلا نشك أن الله يأخذه بغدره، ويحرقه بنار مكره ونكره. فإنا كنا نظن أن الشيطان لا يبلغ به هذا المبلغ، حتى يتمخض للعناد، ويفسد دينه بما ارتكب من الإفساد. فإنه استفزه الشيطان للضلال، وأوقعه في هوة الوبال والخبال. ومن يضلل الله فما له من هاد، ومن يرد الله فتنته، فلن تملك له من الله شيئا. وقد علمنا تقويم خديمنا بوسلهام بن علي المائة من الخيل التي اختارها للخديم محمد بن عبد الصادق، لتتوجه معه للريف، بما تحتاج إليه. وأنه متوجه لقضاء الغرض في الريف، حسبما في كتابه. وما طلبت من عدم التعرض لمتسوقة القبائل الريفية والإغضاء عنهم، فذلك الواجب. وهو الرأي والنظر. وقد كنا أردنا الكتابة لك بذلك، والتأكيد عليك فيه، حتى ورد التنبيه عليه. لأن إظهار ذلك يحملهم على النفور والزيادة في الاحتراز، والتعامي عنهم والإغضاء حتى كأنه لم يصدر منهم شيء يحملهم على التوبة، والنصيحة، والقيام على ساق الجد في الخدمة، والسعي في أخذ من أوقعهم في ذلك. وسبب تأجيل سفرنا تمرّد عشيرة "حبّه"، أثاره أحد قضاة قبيلة "إيدْأُوقِلّون" متحاملا على المثقف عبد الله أبْحي، المشوّش الذي جرّ في صفوفه كل العناصر المشاغبة.

ولمجابهة هذا العصيان، كان عبد الله أبْحي بحاجة إلى عدد من جنود المخزن مضيفا إليهم خمسة آلاف (5000) رجل من القبائل المجاورة لبّوا النداء. وقد عبّأ مناصريه ضدّ المتمردّين، مظهرا عزمه الثابت، في حين كنا ننتظر عودته.

وإن تمرّد القاضي ومناصريه ـ بعد ما كان الحليف للمثقّف عبد الله أبحي ـ مردّه قساوة التصرّفات الإدارية التي كان يتعامل بها هذا الأخير إضافة إلى سلوكه الوحشي وقلّة حسّه السياسي. لقد أرسلنا كاتبنا ولد المختار إلى عين المكان للتطلّع عن كتب على هذه القضيّة، مهمتّه العمل على إرجاء استعمال القوّة وتلطيف الأجواء؛ وقد توصّل إلى ذلك، فكان من الجيش إلاّ أن غادر "موڤادور" يومان قبل تاريخ هذه الرسالة أي يوم السّبت، واستُلمت يوم الأحد؛ وهكذا تقرّر يوم سفرنا ـ بإذن الله ـ والسلام.

في 21 رجب 1263، الموافق 5 جويلية 1847م

ملاحظة:

ومنه، وقد فهمنا من كتاب ابن عبد الصادق، قائد الريف، الحاجة والأقلال. وهو صادق في ذلك، حتى الفرس ليس هو عنده، فلا بد وجه له فرسا، وعامله بإعانة يقوم بها. وتعاهده بذلك المرة بعد المرة. وحتى ما يستميل به، القبائل أعنه به، ليحصل على المراد. فإنه رجل جد، ولا يضع الأشياء إلا في محلها، لمعرفته بناس ذلك القطر وأحوالهم، وتقدم مصارفته معهم، والسلام. صح به في تاريخه.

31

(21 جويلية 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد، أصلحك الله وأرشدك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا مضمنه وعلمنا ما ارتكب الفتان، أهلكه الله، من نزوله على قلعية، حتى ردوا ما كانوا نهبوا لأصحابه. ووظف عليهم الذعيرة، زيادة على ذلك. وبذلك دخل الفشل في القبائل الريفية، والخوف من نزوله مثل ذلك بهم، حسبما ذلك في كتابي التوزيني والوليشيكي. وإنما

ألحو في توجيه المدد، فأجبتهما بأن سبب تأخير توجيه المدد، هو ما فشى في تلك القبائل من النفاق. وأن الأمر الأكيد، هو استعمال السياسة في ألفتهم، وتحريضهم على التضييق على الفتان، وبذل الجهد في عداوته، حتى يتميز الصديق من العدو، والناصح من غيره. فقد أحسنت في ذلك. وأي مدد يتوجه اليوم مع هذا الاضطراب الكثير، ودخول الخلل في تلك القبائل والاختلاف، وما وعد به المرابط من ملازمته للمدد الذي يتوجه، وأخذه بالحزم فيه، فهلا كان ذلك في الأول. فإنك ما وجهته إلا برغبته، وإشارته. فقد عرفتنا هذه الواقعة بقبائل الريف وأهله وبهواهم. وأنهم عبيد العصا، واتباع كل ناعق. مع أنا كنا نظن بهم الحمية والجد. فانظر إلى الفتان مع قلة من معه وكونه في غير بلده، كيف توصل بالدهاء والمكر والسياسة إلى ما لم نتوصل له نحن بالكثرة وعدم السياسة. فلا ينفع الآن في تلك القبائل إلا ركوب الجد واستعمال السياسة، وحسن التدبير، بفسخ عزائمهم، وترهيبهم بما يوقظهم من سنة هواهم. ويردهم إلى سبيل هداهم. قال أبو تمام[1]: السيف اصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب. وقال المتنبي[2] ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندا. فأنا في إثره إن شاء الله. فقد كتبنا لك من القلعة[3]، والأحوال صالحة والبشائر عادية من كل جهة. وقد وصل كتاب قونصو الفرنصيص قبحه الله، والكتب التي وجه ابن الروش[4]، قصمه الله. فلا تغيب عنا شاذة، ولا فاذة، مما يتجدد من الأخبار.

---

1. صاحب الكتاب الشهير: الحماسة (190-231هـ)
2. يعتبر إلى جانب السالف الذكر كأكبر شعراء العرب (303-354هـ)
3. مدينة توجد على بعد حوالي 100 كلم شمال شرق مراكش.
4. الاسم الذي كان يعرف به عند العرب ليون روش (Leon Roches)، صاحب كتاب: اثنان وثلاثون سنة حول الإسلام، كان في طنجة يعمل كاتبا ومستشارا للسيد "دو شاصطو"(De Chasteau) الذي أصبح صهره.

31



عام 1263

وما ادعاه قبائل الريف من الخوف، من الفتان، فإنما ذلك منهم كذب وتلبيس. وكيف يخافون منه وكل قبيلة تعد العشرة آلاف، والعشرين ألفا من أهل المقاتلة والحمية ؟ وإنما ذلك منهم نفاق وخيانة وتقاعد عن الوفاء. يرون ما يفعل ويقدرون على منعه ومقابلته، ولكن يقولون لم آمر بها ولم تسؤني. قاتلهم الله أنى يوفكون.

وأما مكاتبة قونصو الفرنصيص، بما في كتابه من الفضول، والدخول فيما لا يعنيه، فلا بد رده عن ذلك. وقلّل مكاتبته، وأحترز فيه، فإنه أنما يتسوق بذلك العقول، ويقطع على ما نعتقد، وما نقول. لأن كتاب كل إنسان عنوان عقله. وقل له نحن أعرف بسيرة رعيتنا ومصارفتهم، وهي بخلاف رعيتكم. وإلا فما له وللدخول في العمال. وهذا يصلح وهذا لا يصلح. ويظهر الإشفاق والنصيحة، وهو في ذلك ملبس وتحت كل إشارة دسائس، وإن أصاب في واحدة فرمية من غير رام. وكذكر الحديث صدقك وهو كذوب. وأي صدق ونصح نتوهم فيه، وهو عدو ديننا؟ ومتى نصح عدو الدين للمسلمين؟ فاحترز منه غاية، واقصر من مكاتبته، فإنه إنما يدله على ذلك الكافر ابن الروش، الذي عرف اللسان، وارتد بعد إيمان، واطلع على عوائد المسلمين، وعرف أمورهم وسيرهم، أهلكهم الله، وأراح المسلمين من جورهم وخلطتهم. آمين والسلام.

في 07 شعبان الأبرك عام 1263 (21 جويلية 1847)

32

(29 سبتمبر 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد الله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

ولدنا البار الأرضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك والكتب التي معه، وعرفنا مضمنها، وأن الكل أخبر بما آل إليه أمر قلعية مع الفتان، عاجله الله بالانتقام، من ذبيحتهم عليه، وما وظف عليهم لما أبطأت إغاثة قبائل الريف عنهم. فبوصول كتابنا إليك، تأهب للنهوض لهذا الأمر المهم بنفسك. فليس عندنا من نعول عليه إلا الله سبحانه، وكفى بالله وليا، وكفى بالله نصيرا. ولا تظهر النهوض حتى تكون بمكناسة، ونوجه لك من المحلة التي معنا إن شاء الله تعالى. وتتوجه معك محلة الحوز[1]، والمدد الذي في الحياينة، وغيره لتازا بحول الله، وعلى الله الكمال. والمال الذي وجهت لابن عبد الصادق الريفي يبقى بتازة، تحت يد ولد أبا محمد. وهذا ابن عبد الصادق الذي يطلب توجيه المال له. أي فائدة ظهرت له، منذ توجه؟ فلا توجه له شيئا. يقول الناس لا يقضي حاجتي مثلي. وأهل الحوز، إن رأيتهم يتشوفون لإعانة، اجعل لهم درهما[2] للفارس في اليوم. وبوصول كتابنا هذا إليك، بين لنا عدد ما عند أبا محمد خيلا ورماة مخازني وغيرهم. وعدد ما مع أخيك مولاي أحمد أصلحه الله من المخزن، وغيرهم. وكم عندك بفاس كذلك؟ والله يعينك، والسلام.

في 18 شوال الأبرك عام 1263 (29 سبتمبر 1847)

---

1. اسم يطلق على ضواحي مراكش.

2. الدرهم الكبير في 1261هـ يساوي 6 موزونات. أنظر كتاب الاستقصاء. ترجمة إ.فيمي (E.FUMEY)، الأرشيف المغربي، ج X، ص 172.

32



وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه



ولدنا البار الأرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

فقد وصلنا كتابك والكتب التي معه وعرفنا مضمنها وأن الكلام بما آل إليه أمر قلعية

مع العقلاء عاهد الله بالاشتغال [illegible] عليه وما [illegible] عليهم لهذا بكاتب أغا ثلاثة قبائل الريف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والله يعينك والسلام في 18 شوال عام 1263

33

(03 أكتوبر 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا جوابك على شأن ما أمرناك به

من النهوض بنفسك، لأخذ الثائر الفتان، قصمه الله، وعاجله بالانتقام. وأخبرت أنك على أهبة واستعداد. وكنت تود ذلك، فأصبنا أمنيتك. فالله يمدك بالمعونة والتوفيق، ويجعل تمزيق هذا الفتان، وقطع دابره، على يدك بحوله وقوته. وقد حللنا مكناسة أمس تاريخه، والأحوال صالحة والحمد لله. وما ذكرت من أنه لابد من إمداد عاجل الريف، ولو بخمسمائة، وإمداد ميمون اليزناسني بخيل. وكلا الممددين يحتاج إلى توجه شريف. إنما مدد الريف، فمولاي إبراهيم بن عبد المالك أولى به، لمعرفته بتلك القبائل. وتقدم مصارفته معها، كما كان والده من قبل. وأما من يتوجه صحبة مدد ميمون، فعين من يتوجه لنعرف نظرك في ذلك. فقد قل الناس اليوم، وفقد أهل الصفاء. ومن يعتمد عليه في الأمور. وما ذكرت من غلاء نواحي وجدة والريف بجدب البلاد، والعمدة على الشعير. فالأمر كذلك. فبوصول كتابنا هذا إليك، أعد الكلام مع الإعراب في التكليف ذلك من قبلنا. وأختبر حالهم فيه، فإنهم ادعوا ضياع الإبل، وبقيت بقية. وخيرهم في الحمل بالكراء الذي يرضيهم، أو يكيلون لأنفسهم، ويبيعون هناك بزيادة الثمن، ولو أن نسلفهم ما يشترون به أنفسهم، ويبيعون، ويكون رأس المال في ذمة أهل اليسار منهم، ويكون كلامنامعهم بعد ذلك، ليكون تأكيداً لكلامك. وكذلك أهل سوس[1] أزغار[2]، كلهم في حمل ما عندهم مشترى بأزغار بالكراء الذي يرضي، وأن يجلبوا الشعير، ويشرعوا في ذلك من الآن، ويبيعوا مثل العرب. وكل ما توجه يترل بتازة، على يد أمناء[3]، ولا يمس حتى تكون هناك إن شاء الله. وأجل قداح الراي، والنظر في ما ترتكب في تدمير الفتان، وأنت بفاس. ورتب

1. هذا الاسم يطلق على عرب قبائل المخزن القادمين من سوس.
2. الاسم القديم الذي كان يطلق على إقليم الغرب الضفة اليسرى لسبو السفلى.
3. اسم يطلق على أعوان السلطة المكلفين بأملاكها.

33

الحمد لله وحده — وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه



ولدنا الأبر سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد
وصلنا جوابك على شأن ما أمرناك به من النهوض [illegible] هذا الفتان العتال قصمه الله وعاجله بالانتقام
وأخبرت أنك على أهبة واستعداد وكنت تود ذلك [illegible] ما إليه يحتاج بالمعونة والتوفير ويجعل
[illegible] هذا العتال وقطع دابره على يدك بحوله وقوته [illegible] مكناسة [illegible] والأموال كافية
والمحلة وما ذكرت من أنه لابد من أمراء [illegible] والخمسمائة وأمراء [illegible] وكيلا
المدد يحتاج إلى توجيه شريف للأمراء [illegible] إبراهيم بن عبد [illegible] تلك [illegible]
وتقدم [illegible] كما كان [illegible] من قبل [illegible] من يتوجه صحبة [illegible] من يتوجه [illegible]
[illegible] في ذلك بعض من الناس اليوم [illegible] ومن يعتمد عليه في الأمور وما ذكرته من غلاء [illegible]
وحرج والرأي في [illegible] البلاد والعون على [illegible] هذا [illegible] مع
[illegible] في التكليف [illegible] من قبلنا وأخبرتنا [illegible]
في الحمل بالكراء الذي [illegible] ويبيعون [illegible] لسلعهم [illegible]
ويبيعون ويكون رأس المال في يد أهل اليسار منهم ويكون [illegible]
[illegible] كلهم [illegible] بالكراء [illegible] الشعير [illegible] ذلك الأمر [illegible] ويبيعوا مثل
[illegible] وكل ما توجه [illegible] حتى [illegible] إن شاء الله [illegible]
في ترميم [illegible] الأمور التي تحتاج إليها [illegible] النهوض حتى ترتب الأمور وتهيء
الأسباب بحيث إذا [illegible] الأسباب [illegible] والأمور مرتبة [illegible] يكون الشروع في مناجزته
ومنابذته ولا تطول إقامتك هناك [illegible] الطول يوجب الملل عموما وخصوصا مع
الغلاء [illegible] الرحمن وشماتة الأعادي والأمراء الذين للرأي
[illegible] حتى تكون [illegible]
وتيقظ [illegible] على الله سبحانه [illegible] وأهل [illegible]
والمحبة للأمور ومع ذلك [illegible] أرشدك الله ووفقك وسددك [illegible]
[illegible] واكتم أمر نهوضك مع تهييء الأسباب [illegible] حتى لا [illegible] ما تتوقف
عليه واستعن بالله [illegible] عليه [illegible] وكفى بالله نصيرا وعلمنا [illegible] في شأن
[illegible] العبدوني [illegible] وجدة [illegible] من قبائل [illegible] زناتن وأهل [illegible] حتى [illegible]

الأمور التي تحتاج إليها، وتخاف تراخيها. ولا تظهر النهوض حتى ترتب الأمور، وتهيء الأسباب، بحيث إذا نهضت تكون الأسباب ميسرة، والأمور مرتبة، وبنفس وصولك لتازة يكون الشروع في مناجزته، ومنابذته. ولا تطول إقامتك هناك إلا نحو العشرة أيام، أو ما قاربها. لأن الطول يوجب الملل عموما. وخصوصا مع الغلاء والجدب، فإنه إذا وقع التراخي، ولحق الناس الضرر، كان في ذلك الوهن، وشماتة الأعادي. والإمداد التي للريف ولميمون وللشيخ بوزيان ما ظهر لك الرأي، والنظر في تقديمه، قدمه من فاس، وما ظهر لك تأخره حتى تكون بتازة آخره. وتيقظ لموارد الأمور ومصادرها، ولا تتكل على أحد، إلا على الله سبحانه، فإنه لم يبق من يعتمد عليه غيره. وقدم أهل الجد والمحبة للأمور، ومع ذلك لا تغفل عن تفقد أحوالهم، وترتيب أعمالهم، أرشدك الله، ووفقك، وسلك بك مسالك الهداية والظهور بمنه وفضله، واكتم أمر نهوضك مع تهييء الأسباب، ولا تنهض من فاس، حتى لا يبقى لك ما تتوقف عليه. واستعن بالله، واجعل اعتمادك عليه، وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرا. وعلمنا ما شرحت في شأن ولاية بوزيان العبدوني على وجدة، وما ظهر بسببه من التفاقم بين قبائل جوارها بني زناتن (بني إيزناسن)[1]، وأهل أنكاد، حتى ثارت الفتنة التي كادت أن تنشب نارها لولا تداركك ذلك بتوجيه من أطفأها، وسكن أهلها، ووليت مكانه عبد المالك الروداني، ولد عم حمو الذي كان قبل لمعرفته. فقد أحسنت في ذلك وأصبت الصواب. فإن الناس إنما يقدمون للأمور من يقوم بها، ويغني فيها الغناء التام، ولا تستحق المراتب إلا بذلك. وهذا الجيش الفاسي ليس في أعيانهم رجل رشيد يقوم بخدمة لخدمة، فيقوم بها، ويتولى خطة يحسن التصرف فيها. فلا تعول على أحد منهم، فليس فيهم من يختار، ولا من يحسب في العير ولا في النفير.

1. كتابة تعني بني إيزناسن.

وإنما هم أجسام بلا عقول، كما قيل: جسم البغال وأحلام العصافير. وقد جربناهم واحدا بعد واحد، فما راينا فيهم من يصلح لصالحة، ولامر تعود منه عائدة. وقد وصل زمام ما معك من المحلة، وما مع أخيك مولاي أحمد بالحياينة، وما بتازة. وذلك فيه بركة وغنيمة، لو كانت فائدة ونجدة. ولكن الناس مرجت عهودهم وقلت عائدتهم: إني لافتح عيني حين أفتحها: على كثير، ولكن لا أرى أحدا. كثرت أعدادهم، وقلت أمدادهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فلا تعتمد على عدد، ولا عدد. واجعل اعتمادك على الله واستمدادك من حوله وقوته. فهو نعم المولى، ونعم النصير. فقد قل الناصر والمعين والناصح والأمين. ونحن إنما نجامل الناس، ونقضي لهم على علاتهم، ونتغافل عن هناتهم، ونلبسهم على حالاتهم. إذ الضرورة أحوجت إليهم. فكن من أمرهم على بال، واقتف آثارنا في معاملتهم، تهتد وترشد، إن شاء الله تعالى. وأهل الحوز إن لم تكفهم أربع موزونات[1] التي جعلت لهم للفارس، اجعل لهم ما فيه كفاية، وهو ست موزونات. ولا تغيب عنا شاذة ولا فاذة، والسلام.

في 22 شوال الأبرك عام 1263 (03 أكتوبر 1847)

34

(18 أكتوبر 1847)

من السلطان إلى ابنه سيدي محمد

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بعزمك على

1. الموزونة تساوي سنتيم حسني.

توجيه المددين لميمون اليزناسيني، وابن عبد الصادق الريفي، قبل وصولك لتازة. وذكرت أن المائتين المعينة لميمون ميسرة، وأما الخمسمائة التي تتوجه للريف غير ميسرة. لأنك كنت أردت توجيهها من تازة، وهي التي كتبت على توجيه بدلها مائتان من الجيش الفاسي، وثلاثمائة من أهل سوس أزغار، أولاد ادليم، وعامر، وتكنة[1]، فذكروا أنه لم تبق بحلتهم خيل نفاعة. فها نحن أمرنا وصيفنا فرجي بفرض مائتين من الخيل، وزدنا عليها مائة من عبيد سيدي البخاري. هاهي تصلك. وقد كتبنا لأهل سوس، على فرض الثلاثمائة فارس من خيلهم التي كانت حاركة معنا، واستعجلناهم فيها. وعند اجتماعها، تصل إن شاء الله. وفي هذا الكتاب الذي وجهت من الاجمال والاضطراب، ما أوقع في الحيرة. وما هكذا شأن الكتاب في مثل هذا. وزاد إيهام الزمام الذي وجهت، وقلت: ويصل زمام هذه الخمسمائة. وإنما هو زمام ادالة تازة. ولا حول ولا قوة إلا بالله. فتأمل الكتاب تقف على ذلك بما هو يصلك مع زمامه. وما وجهنا لك الفقيه السيد الطيب بوعشرين إلا ليقوم بخطة الكتابة. فإنه لا يرتكب الإيهام. وقد قدمنا لك الأمر بأخذ الأهبة، والاستعداد قبل حلولنا بمكناسة. وأمرناك بعدم إظهار السفر، حتى نأمرك بذلك. ومقصودنا هو التيقظ والحزم، والنظر في عواقب الأمور، وما نتوقف عليه. وكان الواجب تقديم النظر في أمور المخازنية. وإعداد من يتقدم، ومن يتأخر. واختيار الخيل الصحيحة للسفر وعزل الراكة، وتركها، وإبدالها. وأن لا تتكل في ذلك على أحد، فإنه لم يبق من يتكل عليه. فإنما شغل الناس الجمع لأنفسهم، وبناء الدور، وتشييد القصور، ولا التفات لهم إلى التنبه لما يعرض من الأمور.

---

1. هذه القبائل الثلاث أوتي بها من سوس لتكوين القبائل المخزنية والاستقرار في الغرب أو أزغار.

34

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
وصلنا كتابك [illegible] على توجيه المدد [illegible] وأربعمائة [illegible] والريح [illegible]
لتازة وذكرت أن المائتين المعينة [illegible] وأما الخمسمائة التي تتوجه [illegible] إذا كنا
أردنا توجيههما [illegible] كتبنا على توجيه [illegible] من الجيش [illegible] وثلاثمائة [illegible]
[illegible] وعام [illegible] والله لم [illegible] جماعة [illegible]
[illegible] من الخيل وزدنا عليهما [illegible] البخاري [illegible]
[illegible] كانت [illegible] واستعجلنا [illegible]
اجتماعهما [illegible] إن شاء الله وبهذا الكتاب [illegible] والإجمال [illegible] ما وقع [illegible]
[illegible] الكتاب [illegible] وزاد [illegible] وقلت [illegible] الخمسمائة
وإنما [illegible] الله [illegible] بالله [illegible] الكتاب [illegible] على ذلك [illegible]
مع [illegible] وما [illegible] الكتابة [illegible]
[illegible] والإلاه [illegible] قبل [illegible]
[illegible] الأمور [illegible] عليه وكان
الواجب تقديم [illegible] أمور المخازنية وأعداد [illegible] الصحيحة [illegible]
[illegible] على [illegible] تتكل عليه [illegible]
[illegible] الأمور [illegible]
من تتكل عليه ينبغي لك مباشرة الأمور بنفسك [illegible] المحلة [illegible]
[illegible] المخازنية بنفسك [illegible]
[illegible] الحجاب [illegible] الأمور [illegible]
في الغيبة والحضور [illegible] من تتكل عليه [illegible]
والوقوف على الجليل [illegible]
[illegible] زمانك [illegible] على [illegible]
[illegible] في 8 [illegible] الحرام عام 1263

وحيث لم يكن عندك من تتكل عليه، ينبغي لك مباشرة الأمور بنفسك. وتسرد المحلة والادالة وغيرها، وتنظر في الزائد والناقص. فليس بنقص من قدرك أن ركبت على فرسك، وسردت المخازنية بنفسك. بل لا يزيدك ذلك إلا عزا ورفعة. ولا يكن غرضك في غلط الحجاب والأبهة، فإن ذلك إنما يكون لمن عنده من يكفيه الأمور، ويحفظه في الغيبة والحضور. وإذا لم يكن عند الإنسان من يتكل عليه، فالأولى له القيام بالصغير والكبير من أمره، والوقوف على الجليل والحقير. فإنه لا يحك لك مثل ظفرك، ولا ينظر لك مثل شفرك. فشمر وساعد بجد، وائتزر والبس من الحزم جلد النمر. وكن من زمانك، وأهله، على بصيرة، لتجرى أمورك على نقيضها. والله يرضى عنك ويصلحك، والسلام.

في 08 ذي القعدة المحرم عام 1263 (18 أكتوبر 1847)

35

(16 ديسمبر 1847)

من الأمير سيدي محمد إلى أبيه السلطان

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد رسوله وعبده وآله

بعد تقبيل الأرض بين يد سيدنا، أيده الله، وخلد علاه، يعلم نصره الله أنا نهضنا يوم التاريخ لملوية، للقرب للفاسد الفتان، وشن الغارات عليه بحول الله وقوته، والحملة بوجود سيدنا بخير لله الحمد،

وله المنة. وما قصرت في الأخذ بالحزم والاستعداد للفاسد، قبحه الله، ولا تقصر إن شاء الله. وما زادها ضربه إلا حزما وتيقضا واستعدادا له. وحرصا على أخذه بحول الله وقوته. وقبائل هذه النواحي سقط من أعينها، من ليلة الوقعة، حيث رجع حقيرا[1]، لأنهم كانوا يظنون أن غيره لا يقاومه في الصبر والبأس. ولما رأوا بأعينهم ما حل به، نزل من درجة الاعتبار عن جميعهم. فالمنة لله. وقد ورد علينا بنو بويحيى أمس التاريخ بالمؤنة.[2] وأتوا بنحو خمسمائة حارك. وبلغ حراك المطالسة أربعمائة أو ما يقرب منها. ولا زالوا ياتون أفواجا وأفرادا وأزواجا. فالمنة لله. وقد وجهنا لسيدنا رقاقيص كثيرة، من ليلة الوقعة، حرصا على عدم قطع خبر المحلة عن سيدنا، ودفعا لما عسى أن يشيعه من طاش من الحراك ليلة الوقعة من الحياينة وغيرهم، ومن في قلبه مرض من أهل تلك الناحية. ونحن في انتظار الصائر والبارود. وهذا المحل الذي نهضنا إليه من ملوية، هو بين بني يزناسن، والأحلاف، وبني بويحيى. وما وجه سيدي من البلاغي أولا وثانيا[3] وصل، بارك الله في عمر سيدي، ومتعنا برضاه، آمين، والسلام.

في 08 محرم الحرام عام 1264 (16 ديسمبر 1847)
محمد وفقه الله بمنه آمين

---

1. في ليلة 11 و12 ديسمبر 1847، هاجم عبد القادر معسكر المغاربة، لكنه لم يحرز أي انتصار، وخسر العديد من محاربيه. بعد هذه الهزيمة، غادر قصبة سلوان، وعبر ملوية، قريبا من البحر يوم 21 ديسمبر تحت نيران المغاربة.
2. مواد غذائية ومعدات تسلم دلالة على الخضوع والتقدير.
3. كتب فوق السطر 1700 (أي ما مقدار 1700 من الأحذية (في اعتقادنا).

35

36

(30 ديسمبر 1847)

من السلطان إلى الطالب أحمد بن المعطي ولد المجاطي

الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى الطالب أحمد بن المعطي ولد المجاطية، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فإن الفاسد الفتان، وخليفته الشيطان،

أبعد في الجسارة وامتطى مطى الخسارة، واستوسع سبل العناد، واستظل لاحب الرشاد، وقال من أشد منا قوة ؟ وسولت له نفسه الأمارة الاتصاف بالإمارة، وشق عصا الإسلام، وصدع مهج الأنام. فاعلن بكل قبيح واستشكل كل صريح، واستبطن المكر والخداع، وفاق فيه عابد ود[1] وسواع[2]. وشاع في طرف الايالة ضرره، وساء مخبره، وهو في خلل ذلك يظهر مظاهر يستهوي بها أهل الجهالة والعماية والضلالة. فايسنا من رشده، وعرفنا مضمن قصده، فجهزنا له محلة منصورة، ذات أعلام منشورة، جعلنا في وسطها ولدنا البار سيدي محمد، أصلحه الله، وأسندنا إليه أمرها، وقلدناه تدبيرها، وعهدنا إليه أن يسعى في حقن الدماء، جهد الإمكان، ويحتال على إقامة أود هذا الفتان، وأن يعالج داءه بكل دواء، ولا يتبع فيه الأغراض والأهواء، وأن يجعل القتال آخر عمله، وغاية أمله، فلما رأى عدو نفسه إحاطة الجنود به، وجه وفدا من قبله، يدعي التوبة، فيما مضى والكون على وفق المقتضى. فأجبناهم: بأن أحب الحديث إلى الله اصدقه، أن صاحبكم هذا إن أراد الخير إلى نفسه، واحتاط لدينه، وعمل لرمسه، يختار أحد الأمرين : أما أن يدخل لا يا لتنا هو ومن معه آمنين على أنفسهم، ومالهم، ولهم مالنا، وعليهم ما علينا، أو يصحر. وطلبوا الإمهال حتى يوجهوا بعضهم يخبرونه بالملاقات، ويستدركون الأمر قبل الفوات.

فأجبناهم إلى ذلك. فما وصلوا حتى ضربوا على المحلة ليلا، فرده الله بالخيبة واشوه أوبه، وترك قتلاه صرعى بعدما حمل منهم عددا، وجعل يرفس منهم في قفوله، وحال افوله. فتقدمت إليه المحلة الغالبة

---

1. صنم على هيئة إنسان كان يقدسه قوم نوح، وبعد ذلك من لدن قبيلة كليب.
2. صنم كانت تعيده ساكنة بلاد العرب.

36

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

بالله، وقاتلته قتالا أذاقته فيه الوبال والخبال. فكانت الكرة عليه. فأجفل جفال النعام، واستدبر المعركة، وهام ومات من خاصته ورؤسائه وأهل شدته، وذوي باسائه عدد معتبر، ومن هو أدهى وأمر. وعادت جموعه جمع تكسير، وجيوشه موزعة بين قتيل وأسير. وسخر بهم بعد أن كانوا ساخرين. وغلبوا هنالك. وانقلبوا صاغرين. ومن الله استمد التوفيق، حتى يكون هذا خالصا لوجهه، جميل القصد والنية، بمنه وفضله، والسلام.

في 22 محرم الحرام فاتح عام 1264 (30 ديسمبر 1847)[1]

37

(23 ديسمبر 1848)

من حماد بومهدي الهواري إلى السلطان

الحمد لله صلى الله على مولانا وآله

ركن الشريعة، وسيفها المهند المسلول، أمير المؤمنين، بعد تقبيل أعتاب الدار السعيدة، وأداء ما يجب، ينهي العبد لمولاه، أنه ورد علينا من حضرة مولانا، ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان، وخليفة الشيطان على كيده. وبارت تجارته، وفاء بالخسارة، واتضح للمسلمين ضلاله، فحصل بالقطر من السرور والفرح، ونشر الأعلام ما أدهش العقول، وأنعش الأفهام.

1. هذه الرسالة أوردها صاحب الاستقصاء. أنظر النص العربي، الجزء الرابع، ص 198 وأرشيف المغرب، الجزء X ص 177، ترجمة إ. فيمي (E ; Fumey)

37

الحمد لله — صلى الله على مولانا محمد وآله

ركن الشريعة وسيفها المهند المسلول أمير المومنين بعد تقبيل
أعتاب الدار السعيدة وأداء ما يجب ينهي العبد لمولاه أنه ورد علينا
من حضرة مولانا ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان
وخليفة الشيطان على كبره وبارت تجارته وباء بالخسارة واتضح
للمسلمين ضلاله فحصل [illegible] القطر من السرور والفرح ونشر الأعلام
ما أدهش العقول وانعشر الأوهام فيا لها من مزية لم تزل على مر الليالي
تتلى وتسمع بالبشائر كيف كنت معهم وأمور مولانا عظيمة فلقد تلقت
خليفة مولانا وخلة حتى استظهر ما استبطنه الخداع من متابعة
حزب أهل ود وسواع فشتتهم الأصواق وخليت من الأجياد الأغلال
وبطار من هذا عرش الملك في أعلاه عز ومقام وانسق بذلك الأمر
أي اتساق وليهن سيدي من ذلك الأجر الأنعم أعظمه الله [illegible]
[illegible] عام 1264

فيا لها من مزية لم تزل، على مر الليالي تتلى وتسمو. يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما. فلقد تلطف خليفة مولانا ونجله، حتى استظهر ما استبطنه الخداع من متابعة حزب أهل ود وسواع. فشهرت الأسواق، وجليت من الأجياد الأطواق. فصار من هذا عرش الملك في أعلا عز وفاق واتسق بذلك الأمر أي اتساق. وليسهمني سيدي من ذلك الأجر الذي أعقبه الله (لتبر دائرة ذوي الصبر)

في 16 صفر عام 1264 (23 جانفي 1848)

الطابع وبداخله: خديم المقام العالي بالله حماد ابن بومهدي الهواري وفقه الله بمنه. 1262 (1845)

38

(02 أوت 1848)

من السلطان إلى الطالب أحمد بن المعطي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى، الطالب أحمد بن المعطي، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد: فيرد عليك مساجين الحشم مع حشمهم[1]، الذين قبضوا من عسكر الفتان، يوم شتت الله شملهم. أمرنا وصيفنا فرجي بتوجيههم لولدنا سيدي محمد، أصلحه الله. فنأمرك أن تسلك بهم مسلك أخوانهم، الذين توجهوا على يد وصيفنا الجيلالي

1. لا يجب الخلط بين هذا الاسم والاسم العربي (هشام) الذي يبتدئ بحرف مختلف.

بن بوعزة، من القيام بمئونتهم، وإركابهم ومن معهم من عيالهم حتى يخرجوا من ايالتك، ويصلوا لخديمنا الحاج موسى الغربي. وعددهم ثمانون، والسلام.

في ثاني رمضان المعظم عام 1264 (02 أوت 1848)

38

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

خديمنا الأرضى القائد أحمد بن المعطي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وبعد فيرد عليك مساجين الحشم مع حشمهم اللذين قبضوا من عسكر العدو يوم

شتت الله شملهم ووصيفنا [illegible] لولدنا سيدي محمد أصلحه الله فنأمرك

ان تتكلف بهم مصلحة اخوانهم الذين توجهوا على يد وصيفنا الجيلالي بن بوعزة من القيام

بمونتهم وأركابهم ومن معهم من عيالهم حتى يخرجوا من ايالتك ويصلوا لخديمنا الحاج

موسى الغربي وعددهم ثمانون والسلام في ثاني رمضان المعظم عام 1264

خلاصات

إن مجموعة هذه المراسلات تبرز المرتكزات التي تقوم عليها سياسة سلاطين إفريقيا المسلمة وهي :

1. الإيمان بالمبادئ الإسلامية التي تنظم الحياة الاجتماعية والأخلاقية والتي يتشبث بها الأمراء، وشيوخ الطوائف بل حتى الأسر الكبرى، فيستشهدون بها في كل الأحوال والظروف.

2. روابط الدم التي تعد القوة الضرورية لممارسة الحكم والتي يقع تدعيمها وتوسيع نطاقها بالأحلاف التي تتم عن طريق الزواج.

بيد أن المبادئ الدينية لكي تكون فعالة يتعين الإلتزام بتطبيقها كلية، وهو ما حرص الحكام على الوفاء به بكل تيقظ، وإن لم يحالفهم التوفيق دائما. وتظهر هذه الضرورة بلجوء هؤلاء الحكام إلى أمثال الوعظ والإرشاد، وإلى إحاطتهم بالعلماء والفقهاء الكبار، وبشيوخ الزوايا بحيث لا يصدرون قرارا إلا بعد مشاورتهم وأخذ رأيهم، معتمدين على نفوذهم، حريصين كل الحرص على التمسك بالتعاليم القرآنية والأحاديث النبوية، مدافعين عنها دفاعا قويا، عاملين على فرضها على المرتابين خصوصا في أزمنة الإضطرابات والفتن.

أما بخصوص روابط الدم والتحالفات الزوجية فيتم توظيفها بشكل واسع على أساس ما تتمتع به الأسرة من شرف واعتبار مع الحرص الشديد على المحافظة عليهما، لأن المسألة هنا لم تعد مسألة إيمان بقدرما تصبح مسألة ثقة. فبواسطة أفراد الأسرة وحلفائها تسعى الأسرة الحاكمة إلى دعم نفوذها وترسيخه وتوسيعه إلى أقصى البلاد.

فمن جهة هناك الإيمان والعقوبات الإلاهية، ومن جهة أخرى هناك الشعور العائلي، ومواقف الرأي العام.

يمكن الوقوف بدون عناء على جوانب الضعف لهذه المرتكزات. ففيما يرجع إلى مبادئ العقيدة الدينية نصطدم بتقلبات العرب وطيشهم وميولهم إلى المناورة والفكر الوضعي، كما نصطدم من جهة ثانية بالأمازيغيين بمزاجهم الحادّ ومحدودية فكرهم وعنفوان سلوكهم واعتقاداتهم الخرافية. فكيف يتعامل الأمراء الحكام مع هذه الأخطار المحدقة بهم وفي كل لحظة؟ إن أسلوب هذا التعامل تتضح معالمه بلجوء الحكام إلى الشريعة الإسلاميّة متشبثين بها تشبث غريق بلوحة تنقذه من الغرق. فهو يظل ممسكا بها، كما يتمسك الحكام بالدين معتمدين على الآيات القرآنية والدعوات وعبارات الوعظ والإرشاد والعبرة من الأحداث البارزة في التاريخ الإسلامي. وهنا يتدخل العلماء والفقهاء وأهل المعرفة المستشارون الدائمون للسلطة الحاكمة والذين بدونهم لا قرار يتخذ إلا بعد مشاورتهم والأخذ برأيهم.

أما أعضاء الأسرة الحاكمة فيتم اختيارهم حسب مؤهلاتهم، وطباعهم، لشغل مناصب حكومية في مختلف النواحي. غير أن الأسر الأميرية كثيرة وينشأ فيما بينها تنافس وحسد، بين الذكور والإناث على حد سواء.

أما التضامن داخل الأسر كثيرة الأعضاء، فلم يكن دائما من التماسك والقوة ليحول دون انقياد أو إتباع من له طموحات وتطلعات شخصية، أو من يسعى إلى إثارة الفتن، أو من يدعم عضوا من الأسرة، أو خصما له أطماع شخصية.

فمع هؤلاء وأولئك، ظل الامير الحاكم ومستشاروه متيقظين باستمرار، حكماء إلى أبعد حد، متريـثين في أخذ القرارات، كرماء وصابرين... وهذه الصفات لاجدال حولها. غير أنه من طبيعة بعض الفئات الشعبية من هذا البلد نسيان أو التنكر لهذه الاعتبارات التي يحضون بها من طرف حاكمهم، فتصدر عنهم تصرفات خطيرة ومواقف دنيئة يستاء منها الحكام وتثير غيظهم. وعند ذلك يقومون بحملات تأديبية عنيفة وإعدامات كثيرة في حق هذه الفئات الشعبية. بيد أن هذه الإعدامات ظلت محدودية الفعالية مما يستدعي من الحكام تكرارها كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وكلما تجددت التمردات في مختلف الأقاليم.

إن سيكولوجية الحكام اليقظة ومستشاريهم تدفع بهم إلى توظيف ما يوجد بين البربر والعرب من حزازات طبيعية، إذ أن بعضهم أكثر تأثرا بالعقوبات الدينية عن غيرهم، وهنا أيضا فالروابط جد هشة بين عناصر عربية متقلبة المزاج وجشعة، وبين برابرة حقودين شديدي الحرص على استقلالهم.

تلكم هي الظروف التي يمارس فيها السلاطين حكمهم في الأوقات العادية. وتصوروا معي ما ستكون عليه الأوضاع في حالة حدوث عراقيل جديدة تنضاف إلى العراقيل الأخرى كتدخل جيران فاعلين كأتراك الجزائر، المنظمين أحسن تنظيم، وكالفرنسيين المحتلين، أو زعماء طموحين ودهاة كالأمير عبد القادر.

إن قراءة لرسائل السلطان مولاي عبد الرحمان، في الوقت الذي تعطينا فكرة عن الأوضاع الداخلية للإمبراطورية المغربية في عهده، ترسم لنا في ذات الوقت صورة عن شخصيته فتقدمه كسلطان حاذق وحكيم وبصير، وهي صفات إعتمدها في حكمه وترفع من مؤهلاته مع الأخذ بعين الاعتبار ما كانت تتوفر لديه من وسائل ومستوى رعاياه المتواضع.

نعرف أن الأمير عبد القادر قد وجد نفسه، في أواخر حكمه، مطوقا بين الحدود المغربية - الوهرانية، بين البحر وملوية السفلى تحاصره وتلاحقه الجيوش الريفية من جهة، والجيوش الفرنسية من جهة أخرى، وكأنه أسد في قفص يتصاعد منه زئيره تردد صداه الجبال المجاورة.

أما تفاصيل هذه الملحمة كما وردت في الرسائل الشريفية فتؤكد ما قيل في حق الأمير عبد القادر حول مؤهلاته العظيمة، ومهاراته السياسية ونبله الفائق.

اسماعيل حامت

عضو مشارك

الفهـرس

ان، في الوقت الذي
المغربية في عهده،
دمه كسلطان حاذق
وترفع من مؤهلاته
ن وسائل ومستوى

في أواخر حكمه،
حر وملوية السفلى
ن الفرنسية من جهة
تردد صداه الجبال

سائل الشريفية فتؤكد
ة، ومهاراته السياسية

اسماعيل حامت
عضو مشارك

صور هذا الكتاب

بتاريخ: 2019/04/20

مجموعة طلبة دكتوراه لتبادل الوثائق
والمصادر التاريخية.



إنجاز وتصميم منشورات ثالة ـ الأبيار، الجزائر
هاتف : 021. 92. 42. 11/ 92.36.58
فاكس : 11 42 92 021
E.mail : thalaed@hotmail.com



اسماعيل حامت

اسماعيل حامت : ازداد بالجزائر العاصمة يوم 4 أوت 1857م، بعد دراسته الابتدائية والثانوية، قضى مدة وجيزة بالمدرسة الحربية الفرنسية (Saint-Cyr) وتخرّج منها برتبة ضابط مترجم، وذلك سنة 1877 م...

ألّف العديد من الكتب القيّمة سجّلت حضوره الفكري خلال المرحلة ما بين 1890-1930م

ونظرا لما تمتّع به اسماعيل حامت من ثقافة عربية وفرنسية واسعة وعميقة، نشرت أعماله أشهر المجلات الصادرة في فرنسا والجزائر والمغرب على حدّ سواء لقيمتها الفكرية ...

صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية سنة 2000، وقد نقله إلى اللغة العربية نزولا عند رغبتي - ولأول مرة- الأستاذان زكي مبارك ومحمد لخواجة من المغرب، وبفضلهما صدرت الطبعة العربية بالمغرب سنة 2010. وتصدر بالجزائر سنة 2012 عن منشورات ثالة.

وأوّد بالمناسبة تقديم شكري وامتناني للأستاذين الكريمين اللّذين لم يدّخرا جهدا في ترجمة هذا العمل، الشيء الذي حفّزني على إصدار هذا الكتاب الذي أتمناه أن يكون وثيقة تاريخية تساهم في الحوار البنّاء بين البلدين، المغرب والجزائر من ناحية، وأن يساعد الباحثين والمؤرّخين وكذا السياسيين من ناحية أخرى على الاستفادة من وثائقه.

علي تابليت

ر.د.م.ك: 978-9947-834-86-2

9 789947 834862

صورة صفحة الغلاف الأولى:
معركة الزماله بمنطقة "تقدمت" بتاريخ 16 ماي 1843 م
لوحة للفنان هوراس فارناي